١١

وقفات تربوية في سورة الحشر

جمع وإعداد:
أ. نجلاء السيِّل

٠١٢-٦١٩٥٦٤

www.dar-twhid.com

مقدمة...

إن المتدبر لسورة الحشر سيستيقظ على حقيقتين..!

الحقيقة الأولى:

أننا ما عرفنا الله حق معرفته ولا قدرنا الله حق قدره، ولا عظمنا الله حق تعظيمه، وإن كان الإنسان سيندم على شيء فلن يندم مثل ندمه على تقصيره وتفريطه في معرفة ربه وخالقه ومولاه.

*جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وضاعت العيال، وانقطعت السبل، فاستسقِ لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك.

ومعنى كلامه: أنه يريد أن يجعل الله وسيلة توصل إلى النبي ﷺ، لكن النبي عليه الصلاة والسلام لما سمع هذا الكلام غضِبَ ورُئِيَ التغير في وجهه ثم قال للأعرابي : **ويحك أتدري ما الله ؟!** ثم أخذ يسبح ويسبح عليه الصلاة والسلام.

هذا الأعرابي عرف قدر النبي ﷺ لكنه جهِل قدر الله..!!

أكبر رزية، وأكبر بلية، وأكبر مصيبة يوم أن يجهل الإنسان قدر ربه..!

* إذا اختلَّت معرفة الله تعالى عند العبد اختلت عنده بقية الموازين من: المحبة والخوف والرجاء والخشية والتقوى والتعظيم والفرار و التوسل والاستغاثة والاستعانة وغيرها، فإذا ضعُف الله في قلوبنا ضعُفت العبودية، وإذا عَظُمَ الله في قلوبنا عظمت العبودية لذلك نجد أن أكثر الناس تلذذًا في صلاتهم وصيامهم وحجهم وذكرهم وسائر عباداتهم هم الذين عرفوا **من هو الله !!**

<u>وقد قال أهل العلم:</u> إذا أردت أن تتعامل مع الله فلا بد أن تعرف من هو الله..

ولهذا كان النبيﷺ حريص جدًا أن يغرس هذه المعرفة في قلوب أصحابه:

*** فتارةً يرشدهم إلى سعة وكثرة خلق الله وأن لله خلقًا لا يُحصي عددهم إلا هو سبحانه:** مخلوقات لا ترونها.. لا تعرفونها.. لا تدركونها.. ولا تحيطون بها؛ فيقول ﷺ: " إنِّي أرَى ما لا ترَوْن وأسمعُ ما لا تسمعون، أطَّتِ السَّماءُ وحُقَّ لها أن تئِطَّ ما فيها موضعُ قدمٍ إلَّا ملَكٌ واضعٌ جبهتَه ساجدًا للهِ "[1]، وأطت بمعنى : أصبح لها صوت صرير من الثِقل الذي عليها..

فإن تيقنوا بذلك زادت معرفتهم بالله..

*** وتارةً يعرفهم بأسمائه وصفاته:** فالله قد وسع علمه كل شيء: البشر.. البهائم.. الخفاء.. السر.. العلَن..

كان ﷺ يمشي في الطريق ومعه أبو ذر رضي الله عنه فرأى شاتين تنططحان فقال: "يا أبا ذر هل تدري فيم تنتطحان؟ قال: لا، قال: ولكن الله يدري؛ وسيقضي بينهما "[2]..

*** وتارةً يلفت نظرهم إلى عظمة الخلق:** وأن هذه العظمة التي ترونها تدلّ على عظمة الخالق فيقول: " أتدرونَ كم بينَ السَّماءِ والأرضِ؟ قلنا: اللَّهُ ورسولُهُ أعلمُ. قال: بينهُما مسيرةُ خَمس مائةِ سنةٍ، وبينَ كلِّ سماءٍ إلى سماءٍ مسيرةُ خمسِ مائةِ سنةٍ، وكثفُ كلِّ سماءٍ خمسُ مائةِ سنةٍ، وفوقَ السَّماءِ السَّابعةِ بحرٌ بينَ أسفلِهِ وأعلاهُ كما بينَ السَّماءِ والأرضِ، ثمَّ فوقَ ذلِكَ العرشُ بينَ أسفلِهِ وأعلاهُ كما بينَ السَّماءِ والأرضِ، واللَّهُ تبارَكَ وتعالى فوقَ ذلِكَ، وليسَ يخفى عليهِ من أعمالِ بَني آدمَ شيءٌ "[3].

إذن في هذه السورة....

الله ﷻ يعرّف عباده بنفسه ليعظموه ويُجلُّوه.. و ليعلموا أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، خاصة في الآيات الثلاث التي اختتمت بها السورة حيث انتظمت الأسماء الحسنى في عقد جميل رائق ماتع يتذوق جماله من يفهمه.

[1]- إسناده صحيح
[2]- رواه أحمد بإسناد صحيح.
[3]- أخرجه أحمد (١/ ٢٠٦)

الحقيقة الثانية:

سنكتشف مدى ضعف علاقتنا بالقرآن رغم توفره في بيوتنا وأرفننا.. وفي حقائبنا وحقائب أبنائنا..!

لا زال الكثير منا يجهل قيمة هذه النعمة أو لا يدرك أنها نعمة أصلًا..!!

والإنسان إذا فقد قيمة النعمة فإنه لا يحرص عليها ولا يستمسك بها؛ وسندرك هذا إذا تدارسنا المثل الوارد في السورة وننظر بعدها إلى علاقتنا مع القرآن وما نوع هذه العلاقة، قال ربنا ﷻ:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

التعريف بالسورة

* سورة مدنية، نزلت في السنة الرابعة للهجرة..

* اشتُهرت باسم سورة الحشر لورود لفظ الحشر فيها..

سماها ابن عباس ﷺ أيضًا بسورة **" بني النضير "** لأن السورة من مطلعها إلى الآية الرابعة عشر تتحدث عن غزوة بني النضير.. وما دار فيها.. أحداثها.. وماذا نتج عنها..

تتحدث الغزوة عن نصر الله للمؤمنين، ولماذا نصرهم؟

وهذا أهم ما يتعلمه القارئ: **لماذا نصرهم الله؟ وكيف نصرهم الله؟**

لأنّ دراسة الغزوات وذكر ما فيها من نصر يشدّ العزائم ويقوي النفوس..

دراسة الغزوات **تبث الأمل في قلوبنا وأمتنا ومن حولنا**؛ وقد قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى:

" إن هذه الأمة تمرض لكنها لا تموت.. وتغفو لكنها لا تنام فلا تيأسوا"

*** مقصود السورة:**

تدور السورة حول موضوعين:

١- أحداث غزوة بني النضير كما قال ابن عباس ﷺ.
٢- عظمة الله وسعة أسمائه وصفاته.

*** وقفات تدبرية مع السورة..**

الوقفة الأولى:

افتتحت هذه السورة بالتسبيح: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١﴾ وختمت أيضًا بالتسبيح ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾ واكتنفها التسبيح..

والمتأمل في كتاب الله يجد أن التسبيح جاء بصيغة الماضي: "سبح لله مافي السموات والأرض"، وبصيغة المضارع: "يسبح لله مافي السموات"، وبصيغة الأمر "سبح اسم ربك الأعلى" ومجيء التسبيح بهذه الصيغ الثلاث في القرآن فيه إشارة إلى أن كل أوقات الزمان مملوءة بالتسبيح،لكن السؤال:

مَن الذي يسبح هذا التسبيح الطويل الذي لا ينقطع ؟

يقول الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾

جميع الكائنات.. السموات تسبح.. الأرض تسبح.. الملائكة تسبح.. الرعد يسبح .. الأشجار تسبح .. النبات يسبح .. النمل يسبح .. الدواب تسبح .. الحوت يسبح.. بل كل ذرة في ذرات الكون تسبح الله ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾

لمَ ختمت بـ " إنه كان حليما غفورا " بالرغم من أن الآية لم تتكلم عن أي ذنب..؟؟

هذا المقام فيه إشارة إلى أن الإنسان الذي أمره الله وكلفه بالتسبيح هو في حقيقة الأمر مفرط، غافل، قليل الذكر، قليل التسبيح، قليل التفكر في عظمة الله، بينما المخلوقات الأخرى غير المكلفة تسبّح ولا تنقطع، تسبّح ولا تفتر، فإذا كنت قليل الذكر والتسبيح مع ذلك تجد أن الله يعطيك، ويرزقك، وكل أمورك على مايرام ، فاعلم أن هذا من حلم الله عليك، وإلا لو عاقبنا الله بقلة ذكرنا له ما رَزق أحدًا منّا..

*** ما معنى التسبيح ؟**

تنزيه الله عن كل عيب ونقص وسوء..

تنزيه الله عن كل ما لا يليق به ﷻ .

هذا التسبيح المتواصل من الكون كله فيه إشارة إلى أن:

كل هذا الكون الذي يسبح خاضع لعظمة **العزيز الحكيم**..!

العزيز هو الذي لا يُغالب ولا يُمانع..

العزيز هو الذي قهر كل شيء ولا يستعصي عليه شيء ولا يُعجزه شيء..

العزيز هو الذي إذا أراد إذلال قوم أذلّهم بما يريد ولا يستطيع ولا يجرؤ كائنًا من كان من الخلق أن يُعارضه أو يمتنع عليه..

وسيتضح هذا المعنى جليًّا في غزوة بني النضير وكيف أن الله خذلهم وأذلهم وأخزاهم من حيث لا يحتسبون وهذه صورة من صور عزة الله سبحانه وبحمده الذي لا يستعصي عليه شيء..

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ عزةٌ مقرونة بحكمة..

أقوام يهلكهم بالصيحة.. وأقوام يقذف في قلوبهم الرعب.. وآخرون يهلكهم بأن يخسف بهم الأرض لأنه حكيم سبحانه وبحمده يضع كل شيء في موضعه..

حكيم في أفعاله.. في خلقه.. وفي كل أوامره .. المُلك مُلكه والخلْق خلقه وكل شيء بيده وتحت تصريفه ومشيئته..

قال أهل التدبر:

و افتتاح السورة بالتسبيح فيه إشارة إلى أمرين:

الأمر الأول:

تذكير للمؤمن وكأن الآية تقول: " يا مؤمن يا موحد يا من نسبت لأهل الإيمان سبِّح، وأكثر من التسبيح، استشعر أن هذا الكون بكل مافيه يسبح الله: من أرض.. ومياه.. ونباتات.. وجمادات.. ومحيطات.. وذرات.. فسبِّح أنت.. يكفيك أن كلمة "سبحان الله " هي:

* إحدى الكلمات الأربع التي وصفها النبي ﷺ بأنها من خير الكلام وأحبه إلى الله، فقد قال ﷺ :" أحب الكلام إلى الله أربع : **سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**"[1].

* غراس الجنة و وصية إبراهيم عليه السلام للنبي ﷺ ليلة الإسراء لما عُرِج به إلى السماء، قال: " يا محمد أقرئ أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها **سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر** "[2]؛ وهذا من عظيم وصية إبراهيم عليه السلام للنبي ﷺ ولأمته.

و الجنة عدد صفوفها مائة وعشرون صفًّا؛ ثمانون منها من أمة محمد ﷺ؛ لذلك ينبغي أن تكثر من التسبيح والغراس وإياك أن تنزع البركة من لسانك فيجف وينعقد عن التسبيح لله..

الأمر الثاني:

يا مؤمنين سبِّحوا شكرًا لله على نعمة النصر، فبنو النضير كانوا في قوة وغلبة وتمكين ومع ذلك نصركم الله عليهم..

[1]- رواه مسلم، حديث رقم ٢١٣٧

[2]- صححه الألباني بحديث رقم ٤٢٣

*** الوقفة الثانية: أحداث غزوة بني النضير**

سبب الغزوة:

أن رجلًا من المسلمين قتل رجلين خطأً، لما علِم بذلك الرسول ﷺ أراد أن يدفع دية هذين الرجلين اللذين قُتِلا خطأً، فذهب إلى يهود بني النضير من أجل أن يساعدوه في دفع الدية، فإن بينه وبينهم عهود ومواثيق على أن يكون بينهم مساعدات ومساهمات ومشاركات في مثل هذه الأمور والديات، فلما ذهب إلى ديارهم استقبلوا النبي ﷺ ورحبوا به غاية الترحيب، وأجلسوه في مكان أسند فيه ظهره للجدار، ثم دخلوا بزعمهم إلى داخل بيوتهم ليجمعوا له المال ويساعدوه في الدية.. ما أن اجتمعوا وحدهم إلا وبدأوا يخططون ويتآمرون لقتله ﷺ فهو الآن عندكم وفي دياركم وما معه إلا نفر قليل من أصحابه فهذه فرصة القضاء عليه بإلقاء حجر عليه من فوق الجدار فنقتله مباشرة..!

في أثناء تخطيطهم وتدبيرهم نزل الوحي على النبي ﷺ وأخبره بما يدبرون ويخططون ويكيدون، فقام النبي ﷺ مسرعًا وخرج من ديارهم متوجهًا إلى المدينة فلما وصل المدينة أرسل إليهم بأن الله أخبره بكيدهم ومكرهم وغدرهم و ما تآمروا به، وطلب منهم الخروج من المدينة وألا يساكنوه فيها، وأن العهد الذي بينه وبينهم قد انتهى..

أمهلهم عشرة أيام ليتجهزوا فيها ويخرجوا فإن لم يخرجوا خلال هذه الأيام العشرة غزاهم ﷺ..!

اليهود في بداية الأمر كانوا مستسلمين وبدأوا يتجهزون، **لكن..!**

المنافقين أعدى وأخطر وأسوأ أعداء الإسلام ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡ﴾ لم يعجبهم هذا القرار ، ضاقوا به ذرعًا، لأنهم إخوة لليهود كما قال سبحانه وتعالى: ﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ يقولون لمن..؟!

لإخوانهم.. فالنفاق أخو الكفر ، وإن كان المنافقون يُظهرون الإسلام، يصلون معنا، يصومون معنا، يحجون معنا، يلبسون لباسنا، يظهرون اهتمامهم بنا وبصلاح أمورنا إلا أنهم كذبوا..!!

بل هم يبغضون الإسلام وأهله بغضًا شديدًا، ولديهم الاستعداد التام لا لموالاة اليهود فقط بل لموالاة أعداء الدين كلهم ضد المسلمين، وهذا لشدة بغضهم لدين الله ﷻ، وقد فضحهم الله وكشفهم وعرَّاهم وأخرج خبيئة صدورهم؛ وهذه سنة من السنن المطردة في الخلق:"**ما أسر عبد سريرة إلا وأظهرها الله عليه سواء كانت سريرة خير أو شر**"

فهل يظنّ هؤلاء الذين يحملون البغض والحقد والكره وكل هذه النوايا الخبيثة والشر والفساد في قلوبهم خداع المسلمين أن لا يفضحهم الله ويكشف دواخلهم وما يتلجلج فيها..؟!

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾

*** من معاني اسم الله " اللطيف "**

هو الذي يعلم ما دق، وما خفي، وما غمُض: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾

كل ما يدور في الصدور سيظهره الله.. سيفضحه الله.. سيكشفه الله..!

وقد كشف الله تعالى ما حصل بين المنافقين واليهود وما دار بينهم: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾

إياكم أن تستسلموا لمحمد، لا تخرجوا من حصونكم فنحن معكم نساندكم ونناصركم، ونحن أربعة آلاف مقاتل، سلاح وعتاد ورجال فلا تنزلوا لكلامه..!

أمام هذه العروض والوعود والإغراءات صدق اليهود المنافقين واستقوُوا بهم وشعروا أن وراءهم سندًا فأغلقوا أبوابهم بالمتاريس، وأحكموا إغلاقها تماما..!

ثم أرسلوا إلى النبي ﷺ فقالوا: "افعل يا محمد ما شئت فلن نخرج من حصوننا وديارنا"، فجهّز النبي ﷺ جيشه وتوجه إلى بني النضير وحاصرهم، استمر هذا الحصار إحدى وعشرين يومًا لم يحدث خلالها قتالٌ ولا مواجهة، لكن الآيات أشارت إلى شيء: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ مامعنى لينة ؟

النخيل، كان بنو النضير يملكون مزارع نخيل، وهي من أنفس الأموال عند اليهود ، وقد كانوا محاصرين داخل حصونهم، ومزارعهم بالخارج، فكان المسلمون يقطّعون نخيلهم ويحرِقونها واليهود ينظرون من فوق بيوتهم وهم في غاية الألم والتعب النفسي فأرسلوا إلى النبي ﷺ: " يامحمد أما كنت تنهانا عن الفساد، فكيف تقطع النخل وتحرقها..؟!!

فأنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾

الله أذِن لهم بهذا نكايةً وإغاظة لهؤلاء اليهود.

خلال ليالي الحصار هل تحرك المنافقون ونصروا اليهود كما وعدوهم سابقا..؟!

أبدًا لأنهم كاذبون والنفاق حجر أساسه قائم على الكذب والله شهد لهم بهذا: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾

والكذب من الصفات السيئة الذميمة المقيتة التي لا يمكن أن تكون في مؤمن يخاف الله ﷻ، وأكثر صفة يبغضها النبي ﷺ في الإنسان صفة الكذب لذلك قال: "يُطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب"[1]، وللأسف نعيش اليوم في زمن الكذب..!

ترى الرجل يكذب على زوجته ويكذب على أولاده وأهله ويكذب على جيرانه وصحبه.. يكذب في المرض وكذب في طلب الإجازة، ويكذب في الهاتف.. أنه زمن كثُر فيه الكذب..!

مع أن أول صفات المنافقين: "آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب..."[2]

* يقول الله سبحانه: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾

هم لن يخرجوا لأنهم من أجبن وأكذب وأخوف الناس: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله لأنهم ما عرفوا من هو الله..!

وانظر إلى هذه الآية العجيبة:

يقول تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ وهذا يشمل اليهود والمنافقون..! وتذكر صفة عظيمة لو أدركتها الأمة..!

وهي **"صفة الجبن"** فهم لا يمكن أن يقاتلونكم إلا مختبئين وراء حصونهم ودبابتهم وبيوتهم ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾

هم ممزقون من الداخل.. قلوبهم مشتتة مفرقة.. يكره بعضهم بعضًا.. !

ومهما رأينا بينهم من ولاء فلا تغتروا بذلك فهم كاذبون..!

الآن اليهود داخل حصونهم.. والمسلمون يحاصرونهم من الخارج.. يا ترى ما هو الظن الذي كان يظنه كلا الفريقين..؟ !

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾

[1]- رواه البيهقي في الشعب.
[2]- رواه البخاري في صحيحه ٦٠٩٥

ظننتم أيها المؤمنون أن اليهود لن يخرجوا من ديارهم أبدًا لأن حصونهم كانت قوية، وعندهم آبار ومياه ومؤونة، فالحصار هذا لن يؤثر عليهم ولن يُضعفهم.. هذا هو ظن المؤمنين..!

أما اليهود ماذا كان ظنهم..؟

﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾

لما رأى اليهود ما يملكونه من القوة و المنعة والسلاح والحصون وثقوا أن هذه الحصون ستمنعهم وتحميهم ، ولا يمكن أن يهزمهم المؤمنين، أو يتمكنوا من حصونهم، أو يصيبوهم بأذى أو مكروه مطلقًا، ركنوا إلى الأسباب المادية واعتقدوا أنها ستمنعهم من الله **فما الذي حصل..؟؟**

﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ﴾ تأمل هذه الآية..!

لم يقل: فأتاهم الناس..! فأتاهم الجيش..! فأتاهم الخيل..!

وإنما قال: (**فَأَتَاهُمُ اللَّهُ**) وإن أتى الله أحدًا فلا مفر له من الله بل سيكون في غاية الرعب..!!

الله هو الذي قذف الرعب في قلوب بني النضير، قذف في قلوبهم قذيفة لا تراها العين المجردة، ولا ترصدها الأجهزة ولا الآلات، ولا الحسابات، ولا يمكن أن تردها الحصون ولا المتاريس ولا الأقفال..

قذيفة لا تخيب.. ستصل إلى عمق الإنسان لأن الذي قذف بها هو الله: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾

الله قذف في قلوبهم قذيفة الرعب..!

والرعب سلاح ادخره الله لعباده المؤمنين لينصرهم به، سلاح يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده..

كلمة "الرعب" ليست بمعنى الخوف..
الخوف إذا دب في القلب يصيب الإنسان القلق والضجر والتوتر..
ثم يتعاظم الخوف والقلق ويزداد حتى يصل لما يسمى في علم النفس بـ "الرُّهاب"
فلا يستطيع أن يدرس أو يذهب لعمله أو يقابل أحدًا..!
كل هذا يحدث نتيجة زيادة الخوف.. فما بالك بالرعب..!
الرعب إذا دخل قلب الإنسان فإنه يخلع القلب خلعًا..
يزلزل الإنسان ويصيبه بالشلل فلا يستطيع أن يتحرك من مكانه.. بل في بعض الأحيان المرعوب قد يقتل نفسه..!
حكى بعض المؤرخين ما أصاب المسلمون من رعب حين غزاهم التتار..
كان الواحد من التتار يأتي المائة من المسلمين ومعهم أسلحتهم ونبالهم، فيقول لهم:

"قفوا هنا وانتظروني حتى آتي بسلاحي"..!
ما كان يتحرك منهم أحد من شدة الرعب.. كالدجاج الذي يزنه صاحبه ويعده للذبح ولا يفعل شيئًا..!

قال الله ﷻ: (وقذف في قلوبهم الرعب) ولم يقل: "رمى "..
والقذف هو الرمي بشدة وقوة..
وكأنها قنابل من العيار الثقيل أصبحت تتابع على قلوبهم ولا يعلمون من أين تأتي ؟؟
نتيجة هذا الرعب:
﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ﴾ بدأوا يهدمون بيوتهم وحصونهم، ويخلعون أبوابهم وأخشابهم.. فقدوا السيطرة على عقولهم وتصرفاتهم من شدة الرعب الذي أصابهم وتسلل إلى قلوبهم؛ لذلك خُتمت الآية بقوله: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾
اعتبروا يا أهل التوحيد ،يامن التففتم حول مائدة سورة الحشر..
اعتبروا لأن الله هو العزيز الذي لايمانع..
العزيز الذي إذا أراد إذلال قوم أذلّهم بما يريد..
وحتى نربط القرآن بالقرآن؛ رأينا كيف أخزى الله يهود بني النضير من حيث لايحتسبون..
أيضًا في قصة موسى عليه السلام..
كم قتل فرعون من أطفال بني إسرائيل بسبب رؤيا رآها فُسّرت له بأن زوال ملكه سيكون على يد غلام من بني إسرائيل.. من أجل هذه الرؤيا قتل آلاف الأطفال ليبقى ملكه ويقول أنا ربكم الأعلى..!!
لكن لما أراد الله أن يذل فرعون وينزع ملكه.. ربَّى موسى في بيته.. وعلى بساطه..!
وكانت الناس تنادي موسى على أنه ابن فرعون لأنه هو الذي رباه.. فكان يأمنه ولا يظن أن ينتهي ملكه على يديه؛
لذلك: **أصعب الصدمات وأقواها التي تأتيك من مأمنك**..
فالله ﷻ خذله من الجهة التي كان يأمنها ،وأزال ملكه على يد الغلام الذي رباه في بيته..
لأن الله هو العزيز الذي لايغالب ولايمانع.. أمره نافذ إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون..

<u>ويبقى سؤال مهم:</u>هل من الممكن أن يرزقنا الله هذا السلاح الآن ، فيقذف الرعب في قلوب أعدائنا فينصرنا عليهم..؟

نعم لكنه مشروط..

هذا السلاح يحتاج إلى عبيد.. يحتاج إلى فرار إلى الله تعالى.. يحتاج إلى تعظيم لشريعة الله ودين الله ومنهج الله..
وقد قيل: **إذا أردت أن يصيبَ سهمك، فأصلح سهمك أولًا..**

ونحن فينا من التقصير والهنات والعثرات والسقطات ما فينا..

ثم نتساءل لمَ لا ينصرنا الله ﷻ..!!

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: " لا تقدم لله ما يكره، وتطلب منه ما تُحب"

و الله ﷻ جعل قانونًا في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾

فهل حققنا الشرط حتى تتحقق الوعود..!!

كيف ننصر الله..؟! وهل الله ضعيف محتاج لنصرتنا تعالى الله عن ذلك..؟

هل سنخرج بدباباتنا وأسلحتنا ندافع عن الله..؟

الجواب: بالطبع لا؛ لكننا سننصر الله إذا استقمنا على شريعته.. واستقمنا على دينه.. وحققنا دين الله في الأرض وفي أنفسنا.. هذا هو المخرج لنا جميعا..

وأكبر مشروع إصلاح تقوم به هو إصلاح نفسك أولًا..

فالاستقامة سبب للنصر..

وكلما صَلُح فرد من أفراد المسلمين كلما كان صلاحه سهمًا قويًّا في نحور الأعداء..

الله قادر على نُصرتنا بلا أسباب. .لكن لله سننًا كونية لا تتغير ولا تتبدل ولا تُحابي ولا تُجامل أحدًا من خلقه..

ونضرب نموذجًا على ذلك:

عمر بن الخطاب المسدد المُلهم من أمنياته أن يكون لديه بيت مملوء برجال أمثال أبي عبيدة .. ﷺ

وهذا يدل على مكانة أبي عبيدة ورجاحة عقله واستقامته..

أبو عبيدة ﷺ أحد المبشرين بالجنة.. قائد محنك..

في معركة اليرموك قال خالد بن الوليد لأبي عبيدة : كن في مؤخرة الجيش..!

كيف رد عليه أبو عبيدة..!

نعم يا أبا سليمان؛ أسمعُ وأُطعْ. .!

فقال له خالد بن الوليد: يا أبا عبيدة إني أريد إذا فرّ الفارُّ من جيش المسلمين أن ينظر إلى وجهك في مؤخرة الجيش فيستحي فيرجع ..!!

أي هيبة.. أي صدق.. أي استقامة.. أي تعظيم.. وأي خشية ظهرت على وجه أبي عبيدة حتى يستحي منه من ينوي الفرار ويرجع إلى الجيش..!

هذه هي الاستقامة التي نبحث عنها.. استقامة تظهر على جوارحنا بدون أن نتكلفها لأننا حققنا دين الله في أنفسنا..

وكلما حققنا العبودية لله.. وعظّمناه.. واستقمنا على شريعته.. وأصلحنا من أنفسنا وفررنا إليه..

سينصرنا الله، ولن يسلمنا لأعدائنا أبدًا..

نعود للقصة..

قذف الله الرعب في قلوب بني النضير فخلعوا أبوابهم وخربوا بيوتهم وفقدوا السيطرة على أنفسهم، واستسلموا وأرسلوا للنبي ﷺ يطلبون منه الصلح..

رفض النبي ﷺ الصلح وأمر بإجلائهم من المدينة: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾

ما الفرق بين الجلاء والخروج؟

الجلاء: خروج جماعي فلا يبقى منهم أحد؛ وهذا هو الحشر المقصود في السورة ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ وأهل الكتاب هم يهود بني النضير..

والحشر الأول هو خروجهم الجماعي بلا عودة..

كيف خرجوا وطردوا من المدينة..؟

النصوص ليست قطعية في ذلك لكن لابأس أن نذكرها..

عند خروجهم أظهروا تجلدًا عجيبًا..

ألبسوا نساءهم الذهب والفضة والمعصفر والحرير والطيب، وأخرجوهم على الهواء..

وخرجوا في ستمائة بعير مقطورة - أي كل مجموعة إبل مربوطة مع بعض كأنهم قطار - وأخرجوا معهم الطبول والقيان و المغنيات يغنين لهم أثناء خروجهم وكأنهم في عز وشرف ونصر..!!

يظهرون التجلد أمام هذا الخروج الجماعي المهين..!

وقف أهل المدينة صفين على طرقات المدينة يشاهدون هذا الترحيل وهم فرحون إلا جماعة من المنافقين الذين كانوا في غاية الأسى والحزن والغيظ..

وبهذا تم إجلاؤهم من المدينة..!

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨﴾

هذه الآية تتكلم عن مال بني النضير الذي تركوه بعد الجلاء، ما حكمه..؟

حكمَ الله أنه فيء..

الفيء هو المال الذي يحصل عليه المسلمون بدون قتال ؛أما الغنيمة فهو المال الذي يحصل عليه المسلمون بعد قتال..

ولكل من الفيء والغنائم تقسيم خاص بها..

قسم من الفيء يكون لفقراء المهاجرين، وقد خصّ الله فقراء المهاجرين بجزء من الفيء دون الأنصار لأنهم أُخرجوا من ديارهم، خرجوا حبًّا لله ولرسوله وابتغاء لمرضاة الله..

والله شهد لهم بذلك.. شهد بإخلاصهم وصدقهم في خروجهم وأنهم ما أرادوا بذلك الدنيا مطلقًا؛ وإنما أرادوا وجه الله ﷻ..لذلك ختمت الآية: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾

و لا نقصد الصادق في كلامه فحسب.. بل صادق في كل شأنه..

صادق في إيمانه.. في فعله.. في عزيمته التي بدأها مع الله وأتمها مع الله..

ثم مدح الله الأنصار: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

هل الإيمان بيت يسكن أم اعتقاد يعتقد؟!

الإيمان اعتقاد؛ لكن من قوة الإيمان في قلوبهم مثله الله ﷻ بالدار التي يسكنونها..

هذا الإيمان القوي له ثمرات مباركة فقد صفى وغسل قلوبهم تمامًا..

١/ ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾

٢/ ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾

لايحقدون على إخوانهم.. لا يتحاملون عليهم.. لا يحسدونهم؛ لأن الله أعطاهم من الفيء ولم يعط الأنصار..

ولا لأن الله ميزهم وقدمهم بالسبق والشرف والهجرة..

وكأن قلوبهم لا تعرف الحسد ولا تشم له رائحة..

فالإنسان كلما زاد حسده قلت بركته ، وكلما قل حسده زادت بركته..

بركة في كلامه.. في فكره.. في تخطيطه.. في ماله.. في صحته..

لأن القلب صافٍ سليم وكل ما يُغرف منه يخرج نقيًّا طاهرًا مُباركًا..

٣/ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

هذه درجة عالية جدًّا في كمال الإيمان.. أن يبذل الإنسان ما يحب مع حاجته إليه..

آخى النبي ﷺ بين سعد بن الربيع الأنصاري وعبد الرحمن بن عوف المهاجري..

وسعد من أغنى أغنياء الأنصار و عبدالرحمن من المهاجرين الذين لايملكون شيئًا..!

بمجرد المؤاخاة.. جاء سعدٌ لعبد الرحمن وقال له: أقسم المال بيني وبينك "ثروته كاملة "..!!
والأعجب من ذلك..!

عندي زوجتين فانظر أيهما أعجب إليك فأطلقها لك..!!

فأجابه عبد الرحمن بن عوف ﷺ: بارك الله في مالك وأهلك ولكن دلَّني على السوق...

موقف آخر:
نزل ضيفٌ نزل على رجل من الأنصار، ولم يكن عنده إلا قوت أبنائه، فقال لزوجته : نومي صبيانك وأطفئي السراج وقرِّبي الطعام للضيف، واصنعي كأنك تأكلين..

قدموا عشاءهم.. أكرموا ضيفهم.. مضت ليلتهم.. وفي الصباح...!!

نزل الوحي على رسول الله ﷺ يخبره بما فعل، فقال له رسول الله ﷺ: " لقد عجب الله من صنيعكما الليلة "..
هؤلاء هم الأنصار..!

هؤلاء هم أهل المدينة بسماحة نفوسهم وكرم أخلاقهم وجودهم..

و هذه الدرجة لا يمكن أن يصلَ إليها الإنسان إلا إذا وُقِيَ شحّ نفسه..
والشحّ أشد من البخل، إذْ أنَّ الشح بخلٌ وزيادة طمع ونهم وحرص شديد، ففي الحديث :" اتقوا الشُّحّ فإن الشُّح أهلك من كان قبلكم"[1]
لأن الشح باب مفتوح للعداوة، فالشحيح يقاطع أهله حتى أباه وأمَّه عياذًا بالله..!
وقد كان عبد الرحمن بن عوف ﷺ يطوف بالكعبة ويدعو في طوافه كله:"اللهم قني شح نفسي، اللهم قني شح نفسي"، فسأله أحدهم عن ذلك فقال: " إني إذا وقيت شح نفسي لم أزنِ، وإذا وقيت شح نفسي لم أسرق، وإذا وقيت شح نفسي لم أفعل شيئًا مهينًا ولا بذيئًا ولا سيّئًا" ..
لذلك علق الله الفلاح بمن وقي شح نفسه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾
وحتى نجمع القرآن بالسنة يقول الرسولﷺ: "قد أفلح من أسلم و رُزق كفافًا وقنّعه الله بما آتاه"[2]
دعاء بالفلاح لمن تحققت فيه ثلاثُ صفات:
١- قد أفلح من أسلم: أي حقق الإسلام..
٢- و رزق كفافا: أي رُزق رزقًا يكفيه..
٣- وقنعه الله بما آتاه.. ارض بما قسم الله لك وبما رزقك، ولا تتحسر على ما فاتك..

نسأل الله أن يوصلنا لهذه الدرجات وأن يقينا شح أنفسنا.. وأن يُجمّلنا بحسن الخلق ويصرف عنا كل قبح وشر و سوء..

[1]- أخرجه الألباني في صحيح الجامع.
[2]- رواه مسلم ١٠٥٤.

اللقاء الثاني...

* ذكرنا في اللقاء السابق أن الآيات تدور حول غزوة بني النضير.. أحداثها.. نتائجها.. و استخلصنا الدروس والعبر الموجودة فيها.

* تعرض السورة أيضًا موضوعًا كبيرًا وجليلًا يقول عنه أهل العلم: "إن من زبدة الإيمان ومن خالص الإيمان ومن صدق التوجه ومن كمال الإخلاص أن تكون من المتقين"..!

ما هي التقوى..؟ ما معناها..؟ ما حقيقتها..؟ وماهي كواشفها..؟

* التقوى كلمة تعودنا سماعها في الدروس.. في المحاضرات.. في الخطب والكتب وربما من كثرة سماعها صار البعض يرى أنها كلمة روتينية لابد أن يُفتتح بها؛ وهذا من أكبر الأخطاء التي وقعنا فيها يوم أن استصغرناها وما عرفنا حجمها ولا معناها أصلًا..!!

* عمرُ بن الخطاب ﷺ لقيَه رجلٌ في الطريق فقال له: "يا عمر، اتق الله"، مباشرة جلس عمر و وضع خده على الأرض تواضعًا لله، عرف قوة هذه الكلمة ووزنها وقيمتها وأن الأمر بالتقوى أمر شديد..

* كان يقول ابن مسعود ﷺ: "إن أبغض الكلام إلى الله أن يقول الرجل للرجل: اتقِ الله فيقول عليك بنفسك"[1]..!

* لقي رجل الإمام أبا حنيفة رحمه الله فقال له: "اتق الله" فاصفرَّ الإمام وانتفض.. ثم اطرق رأسه.. ثم رفعه وقال للرجل: جزاك الله خيرًا..!

* الله ﷻ في سورة الحشر نادى أهل الإيمان رغم أنهم مؤمنون وأمرهم بالتقوى وكرر الأمر عليهم..

والأعجب من هذا أن الله أمر نبيَّه بالتقوى في فاتحة سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾

والسر في ذلك كما يقول أهل التدبر:

من عناية الله بالشخص أن يأمره بالتقوى وأن يكرر عليه الأمر بالتقوى؛ لذلك جاء النداء: (يا أيها النبيّ) ولم يأتِ: (يا أيها الرسول) لأن (يا أيها الرسول) نداءُ تكليف وتبليغ، و (يا أيها النبيّ) نداءُ تربيةٌ ورعاية..

فمن كمال عناية الله بنبيه ﷺ أن يأمره بالتقوى وأن يكرر عليه الأمر بها..

التقوى أمرٌ مستمر لا ينتهي.. أمر متجددٌ دائم ما دامت الروح في الجسد، وقد ضرب الرسول ﷺ على صدره ثلاثًا وقال: "التقوى ها هنا،التقوى ها هنا، التقوى ها هنا"[2].. وقد تكرر الأمر بالتقوى في القرآن في أكثر من مائة وستين موضعًا..!

[1]- السلسلة الصحيحة للألباني.
[2]- رواه مسلم.

وهذا يدل على أهميتها ومكانتها فهي وصية الله لخلقه، و الله ﷻ يقول: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، وهي وصية الأنبياء لأقوامهم: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾..

وهي وصية النبي ﷺ لأصحابه، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني، قال: "أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء"[1] ، وجاء آخر فقال: يا رسول الله إني أريد السفر فزودني، قال: "زودك الله التقوى"[2]، وجاء ثالث وقال: يا رسول الله، ما أكثر ما يدخل الناس الجنة..؟ قال: "تقوى الله وحسن الخلق"؛ حتى النبيﷺ كان يسأل ربه ويدعوه: "اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى"[3]..

ولكن..!

بالرغم من كثرة الأمر بالتقوى وكثرة الوصية بها إلا أنه لا يؤتى التقوى إلا قلة قليلة من الناس..

والناس يتفاوتون في تحقيقها.. يظهر الواحد منا أحيانا أمام نفسه وأمام الناس أنه من المتقين.. أنه على درجة عالية من التقوى.. ويحكم الناس عليه بالتقوى من كلامه وسمته و وقاره لكنه إذا رجع إلى نفسه و ورجع إلى الصدق في نفسه لوجد خللًا في الكثير والكثير من أبواب التقوى..!

أمورٌ نتنازل عنها.. وأمورٌ نتساهل فيها.. و أمورٌ تتوارى خلفها..

حظوظ نفس.. التواءات نفس.. أمراض نفس..

وكم رسبنا في اختبار التقوى..؟!!

وقد أخبر الله ﷻ في كتابه أنه يمتحن القلوب بالتقوى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾

فقد نرسب مع أول اصطدام بالأعراف والتقاليد والعادات..!!

قد نرسب مع أول مواجهة نقد من كلام الناس فنُقدم ما يرضي الناس.. وما يُعجبهم..!

قد نرسب في مناسبات الزفاف وفي اللباس أو الإسراف أو المباهاة..!

قد نرسب في السفر، مع حرية السفر وقلة الرقيب فيه.. وقد نرسب مع أول منازعة حين تأتي النصيحة ثقيلة علينا.. كل هذا يجعلك تفهم لماذا جاء تكرار الأمر بالتقوى في القرآن؛ لأن التعامل مع التقوى أمر مخيف.. أمرٌ يتفلت..

التقوى عمل قلبي وأبرز صفات القلب أنه يتقلب..!

* ربطت التقوى في هذه السورة باسم الله "الخبير"..

والخبير: هو الذي يعلم دقائق الأمور وبواطنها وخفاياها، وهذا فيه إشارة أن الله خبير بالتقوى التي في قلوبنا..

---

[1]- السلسلة الصحيحة للألباني.
[2]- رواه الترمذي في صحيحه.
[3]- رواه مسلم.

خبير بحجمها.. بحقيقتها.. أين وصلتْ..؟؟ وأين وصلنا بها..؟؟ هل أنت من المتقين أم من المدعين للتقوى؛ لذلك جاء ختام الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾..!

لذلك إذا عمل العاملون واجتهدوا خافوا..!

خافوا من عدم القبول لأن مُنية العامل أن يُقبل عند الله؛ لكن هذا القبول حصره الله في فئة معينة من الناس: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾؛ لذلك كان ابن عمر ﷺ إذا قرأ هذه الآية يبكي فلا ضمان عنده أنه قُبل..!

يقول فضالة بن عبيد: "لأَن أعلمُ أن الله تقبل مني مثقال حبة أحب إلي من الدنيا وما فيها"[1]

إذن التقوى معنى كبير.. وميزان دقيق فقبولك وقبول أعمالك مرتبط بالتقوى..!

ما هي التقوى..؟

مأخوذة من الوقاية؛ بمعنى أن تجعل بينك وبين عذاب الله.. بينك وبين غضب الله وقاية..

ومن سنة الله في خلقه: أنه من لم يهرب من عذاب الله وقع فيه؛ لذلك أمر الله نوحًا عليه السلام أن يركب مع من آمن من قومه لأن البقية سيعذبون.. وأمر لوطًا عليه السلام أن يترك قومه ولا يلتفت إليهم..!

على هذا.. التقوى وسيلة تقيك.. سترة نجاة تنجيك وتخلصك من عذاب الله ومن غضبه..

وإذا دخل العبد عالم التقوى فلا تسألْ عن حياته.. عن آخرته.. عن نجاته..

لا تسأل عن الثمرات التي تُعطى له.. عن الثمرات التي يقطفها..!

ومن ثمار التقوى:

١- <u>يعطي الله تعالى صاحبها نورًا</u>.. نورٌ يميز به بين الحق والباطل.. فرقانٌ يضيء به المسالك و الدروب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ والفرقان هو بصيرة القلب، وكما أن العين تبصر كذلك القلب يبصر..

فكيف سيكون بريق هذه البصيرة إذا كان الله هو من ينيرها لصاحبها..!

ومن كرامة العبد على ربه أن ينير له قلبه..

والنتيجة الحتمية لهذا لنور أن يؤتى العبد الرشد وحسن العقل وحسن الاختيار وحسن الفهم..

يعيش في دنياه وهو يعلم ما الأنفع والأصلح له.. يعرف طريقه.. وجهته.. لا حيرة ولا تخبط ولا ضياع ولا تيه..

إنما أوتي من أمره رشدًا..!

[1]- تحفة العلماء ص ٢٦٣.

٢- تجلب البركة: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾

بركات تنصبّ عليك في علمك.. في فهمك.. في حفظك.. في قراراتك.. في صحتك.. في عافيتك.. في بيتك.. في أمورك.. وفي شأنك كله؛ لأن الله إذا بارك شيئًا فليس لبركته منتهى.. ليس لبركته حد ولا حصر؛ والنبي ﷺ يقول: "البركة من الله"[1] والبركة هي: الخير الكثير الذي لا ينتهي.. مهما غرفت.. مهما أخذت.. لا تنتهي لأن مصدرها من الله..

وكلما زادت التقوى كلما زادت البركة..

٣- تجلب التيسير والفرج: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾

كثير من الإغلاقات مفتاحها التقوى؛ قال الحكم بن عمرو في سير أعلام النبلاء: "أقسم بالله لو كانت السموات والأرض رتقًا على عبد - أي مطبوقة على إنسان- فاتقى الله يجعل له من بينهما مخرجًا"..

وما من متقٍ يطرق بابًا إلا سيفتح له هذا الباب..

قد يتأخر الفتح.. وقد يتأخر الفرج لحكمة يريدها الله لكنه يقينًا سيُفتح لأن الله وعد بذلك: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾، وقد لا يفتح الله لك الباب الذي كنت تطرقه؛ لكنه يفتح لك بابًا أنفع وأكثر خيرًا وبركة وصلاحًا، سواء كان من أبواب الرزق الحسية أو المعنوية وهذا كله من لطف الله بالمتقين وألطاف الله لا تحدها العقول والأفهام.. والله إذا فتح لعبده بابًا فلا يمكن لأي كائن من كان أن يغلقه..

٤- تجلب الستر..!

وهذا معنى دقيق خفي جميل، يقول الله في القرآن: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾..

واللباس لباسان: لباس ظاهر وهو الذي يستر عوراتنا، ولباس باطن معنوي وهذا هو لباس التقوى..

تستر عوراتك.. عيوبك.. ثغراتك.. أمورك القلبية.. وإذا تعرى الإنسان من هذا اللباس فإنه يأتي يوم القيامة في وضع مزرٍ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ وكما أن الإنسان سيكون يوم القيامة عاريًا في بدنه؛ سيكون أيضًا عاريًا في سريرته.. في قلبه.. في باطنه.. سيفضح الله هذا كله.. سيكشفه؛ لذلك لا تتعرى من لباس التقوى لأنها تسترك يوم القيامة، وكما قال أهل العلم: **كن صادقًا هنا حتى لا تفضح هناك..**

[1]- أخرجه البخاري في صحيحه

٥- <u>تؤهلك لأن تكون من الزمرة الأولى التي تدخل الجنة</u>: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ قال أهل البلاغة: هذه الواو في (وفُتحت) واو الحال..

تصف لك أحوال أبواب الجنة.. أبوابها مفتوحة مشرعة..

فإذا قدم أهل الجنة بدؤوا يشمون ريحها ومسكها وطيبها من مسافة سبعمائة عام..

هذا الفوج الأول سيدخل الجنة وهيئتهم متماسكين بجانب بعضهم كما ورد..

لا يتقدم أحد على أحد.. ولا يسبق أحدٌ غيره.. كلهم صفٌّ واحدٌ.. وجوههم كالبدر من جمالها.. من بريقها.. من لمعانها.. من تلألئها وحُقّ لهم هذا..

اللهم اجعلنا ووالدينا وذرارينا ومن نُحبّ منهم ومعهم...

كيف يكون العبد من المتقين..؟

التقوى درجات يصعدها العبد درجة بعد درجة:

١- أدّ الفرائض واترك المحرمات:

لا يمكن أن تكون من المتقين ولا أن تدخل إلى عالم التقوى وأنت مفرّط في فرائضك.. في توحيدك.. في صلاتك.. في برّك.. في زكاتك.. في حجابك..

أدِّ الفرائض وفي المقابل اترك المحرمات الصريحة الواضحة التي قال عنها النبي ﷺ في الحديث: "الحلال بيّن والحرام بيّن"؛ وعلى رأس هذه المحرمات الكبائر؛ لأن كل معصية يرتكبها الإنسان تُنقص من إيمانه، وإذا كانت هذه المعصية من الكبائر يكون النقص شديدًا لأنها تنزع الإيمان نزعًا؛ وقد قال عليه الصلاة والسلام: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن"[١]، وهذا يدل على أن العبد إذا ارتفع إيمانه وامتلأ قلبه بالتقوى لا يمكن أن يكون كثير التنقل بين المعاصي خائضًا منغمسًا فيها، و لا يصدر هذا إلا من عبدٍ ضعيف في إيمانه.. هشٌّ في تقواه؛ فالتقوى عنده كأنها قالب زبدة تذوب في أدنى حرارة..

وإذا جاء التحذير من الكبيرة بلفظ: " اتقوا " وجب على من يريد التقوى أن يحذر كل الحذر، مثال ذلك قوله ﷺ: "اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة"[٢]، لا يمكن أن يكون العبد قويًّا في تقواه ويكون ظالمًا لأن الظلم يتنافى مع التقوى.. خسارةٌ عظمى.. إفلاسٌ حقيقيٌّ.. ديوان لا يترك الله منه شيئًا لأنه متعلق بحقوق العباد..

يغفر الله في حقه ما يشاء لعبده، أما حقوق البشر فلا يغفرها الله - إلا إذا تدارك الله العبد برحمته- بل ينصب الله هذا العبد يوم القيامة ثم يأخذ أصحاب الحقوق حقهم من هذا الظالم..!

هذا يأخذ برقبته.. وهذا يأخذ بناصيته.. وهذا يقول يارب ظلمني.. يارب غشني.. يارب أكل ميراثي.. يارب جاورني فأساء جواري.. يأتي يوم القيامة وهو بأمسّ الحاجة لحسنة تثقل الميزان ثم يجدُ الخصوم يطالبونه من كل جهة..!

يقول ابن مسعود: " يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رؤوس الخلائق هذا فلان ابن فلان فمن كان له حق عليه فليأت إلى حقه، يقول فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ:﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾

ستعلم يا ظلوم إذا التقينا غدًا عند المليك من الملوم

[١]- رواه البخاري.
[٢]- رواه البخاري.

وقد قال رسول الله ﷺ: "اتقوا دعوة الظلوم"[1]..!

دعوةٌ تُرفع فوق الغمام.. دعوةٌ تُفتح لها أبواب السماء والله يقول لها: "لأنصرنّك ولو بعد حين"..!

أيها الظالم احذر ظلمك مهما كانت درجته.. لأنك ستذوقه من نفس الكأس الذي أذقته للناس.. سيسلط الله عليك من يذيقك إياه بنفس المرارة: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾..

فيتسلط ظالمٌ على ظالم.. وينتقم ظالمٌ من ظالم آخر..!

* نقفور ملك الأرمن قتَّل المسلمين وظلمهم ظلمًا كبيرًا.. فسلط الله عليه زوجته فقتلته في وسط داره..!

ملك الفرس ظلم ومزق صحيفة النبي ﷺ ثم بعد ذلك سلط الله عليه ابنه فقتله ومزق ملكه..!

كما تدين تُدان.. فاتقوا الظلم..!

* كبيرة أخرى من الكبائر، قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾..

اتقوا الأرحام أن تقطعوها.. فالرحم لما خلقها الله عز وجل استأذنت ربها و قالت: "هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال الله ﷻ: أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك"[2]، وفي سورة محمد يقول الله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ فالقاطع ملعون..!

والإنسان إذا استوجب لعنة الله فإنه سيعيش في شقاء.. سيقطع الله عنه المدد والحفظ والتوفيق؛ لذلك من كان من أهل التقوى فلن يسيء إلى رحمه.. لن يفكر في أفعالهم.. لن يهتم بمشاعره تجاههم أحبهم أو لم يحبهم لأنه فقط يصلهم تعظيمًا وإجلالًا لله ﷻ..

وبعض الرحم مهما بذلت معهم.. مهما أحسنت لهم يظل فيهم من الصد والجفاء ما فيهم؛ فتُطَّبق معهم قاعدة: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ والإحسان و الصلة درجات، فإن رفضوا التواصل مع من يصلهم يبقى:

١- الدعاء لهم..

٢- السؤال عنهم و بعث السلام لهم..

٣- فإن كنت صادقًا و نظر الله إلى قلبك ووجد فيه كرهًا لهذه القطيعة وتمني زوالها، فإنه يشكر لعبده حركة قلبه - ولا يضيع عند الله مثقال ذرة - وقد يجازيك الله عليها بأن يغفر لك هذه القطيعة وييسر لك الوصل..!

٤- ذكر نفسك بقول النبي ﷺ: "سبْقُه بالفيء كفارة له"[1]، والمعنى: أنك إذا بدأت بإنهاء هذه القطيعة فهذا كفارة لما سبق وباب تجارة مع الله ﷻ..

---

[1]- رواه البخاري ومسلم.
[2]- رواه البخاري ٥٩٨٧.

والخلاصة...

أدِّ الفرائض واترك المحرمات والناس متفاوتون في الترك بحسب زيادة التقوى ونقصانها.

هناك من يترك الكبائر وهذا الأصل.. وإذا زادت التقوى زاد الترك، فتترك المكروهات..

تزداد التقوى فتُترك المشتبهات، وهذه الدرجة تسمى حقيقة التقوى كما قال ابن عمر ﷺ: " لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر "[٢]

وإذا زادت التقوى أكثر سيترك الفضول والإغراق في المباحات وترك الخواطر السيئة التي تَرِدُ على القلب والعقل وإذا وصل العبد إلى هذه المرحلة من الترك يكون قد انصبغ بصبغة التقوى كما يصبغ الثوب بأكمله..

ومقابل كل ترك تتركه تذوق حلاوة الإيمان، وكلما زاد الترك دخلت في دائرة "من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه" وتبدأ بقطف ثمار التقوى؛ وعلى قدر الترك في الدنيا يكون الفرح في الآخرة بين يدي الله تعالى..

٢- <u>أن تُنزل نفسك منزلة المراقبة:</u>

أي أنك تمشي في الدنيا على حذر، كالذي يمشي فوق الشوك يحذره، متصلٌ بالله في كل وقتك، فالتقوى مرتبطة بالزمان والمكان والحال: "اتق الله حيثما كنت"؛ إياك أن تكون في عزلة عن ربك فالكارثة كل الكارثة يوم أن يفقد العبد هذا الشعور.. وهذا الاتصال.. وهذه المراقبة..!

والله يقْرُب من قلوب عباده حسبَ قُربِ قُلوبِ عباده منه..!

لا تنقطع عن الله.. ولا تطلِ العزلة لأن شعورك بالعزلة عن الله يعني غياب التقوى عن قلبك..

ذنوب الخلوات والمحرمات والأفعال المريبة من دخول وخروج واتصالات وصور فاضحة كلها ستظهر لأن التقوى والمراقبة غابت وفقد هذا الشخص اتصاله بربه..

هل يعني هذا أن من بلغ درجة في التقوى لا يخطئ..؟

بل يخطئ ولكن ثمة فرق بين ذنب وذنب..

فالمتقي له صفة خاصة عند ربه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾..!

إذا ذُكِّر يتذكر مباشرة ويفيق ويصحو.. لا يصرّ على خطئه..ولا يمضي في ذنوبه ولا يجترئ عليها بل يصيبه شيءٌ من الحسرة والتأوه والحرقة والبكاء والذل والانكسار بين يدي الله ﷻ ما يجعل حال البعض بعد المعصية خيرًا مما كان عليه قبلها..

---

[١]- حديث صحيح صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.
[٢]- رواه البخاري.

٣- **المحاسبة:**

نتيجةٌ طبيعية للمراقبة؛ قال ميمون بن مهران: " لا يكون الرجل تقيًّا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه"[١]..

لمَ قلت كذا..! لمَ فعلت كذا..! ليتني لم أجلس مجلس..!

ولا تزال نفسه تلومه وتؤنبه وتقرعه وتجلده إلى أن يصبح ضاغط التقوى شديدًا قويًّا في قلبه، والله إذا أراد بعبده خيرًا جعل له واعظاً من نفسه، فتجده يخاف من ذنوبه خوفًا شديدًا، وهذا هو حال الصحابة رضي الله عنهم..

ابن مسعود ﷺ أعلم الصحابة بكتاب الله.. زكَّاه النبي ﷺ تزكية شرف فقال عنه: "من أحب أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزل فلْيقرأه على قراءة ابن أم عبد"[٢]، وقال عليه الصلاة والسلام أيضًا: "رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد"[٣]، وفي رواية أخرى: "تمسّكوا بعهد ابن أم عبد"[٤] أي افعلوه؛ بل كان النبي ﷺ يأذن له بالدخول عليه في أي وقت..

كان يحمل نعلي النبي ﷺ دائمًا حتى صاروا يلقبونه بصاحب النعلين..! كان يحمل سواك النبي ﷺ..!

وهذا كله يدل على قربه وتزكيةته التي زكا بها النبي ﷺ..

مع ذلك.. لما حضره الموت و مرِض دخل عليه الصحابة وسألوه يا ابن مسعود ما تشتكي..؟ قال: أشتكي ذنوبي، قالوا: وما تريد..؟ قال: أريد أن يغفرها الله لي..!

* إذا وصل العبد إلى مثل هذا الهم والقلق والخوف من ذنوبه.. مثله يوفق إلى التوبة..

يُحبِّها الله إليه.. يحركُ قلبه لها.. والتوبة رزق وتوفيق من الله ﷻ، ليس كل من أراد التوبة تاب، إنما يحرك الله قلوب الصادقين للتوبة، يقول ابن القيم في مدارج السالكين: " لأهل الذنوب ثلاثة أنهار عظام يتطهرون بها في الدنيا، فإن لم تفي بتطهيرهم، طُهِّروا في نهر الجحيم يوم القيامة، نهر التوبة النصوح ونهر الحسنات المستغرقة للأوزار -أي الحسنات الماحية- ونهر المصائب العظيمة المكفرة فإذا أراد الله بعبده خيرًا، أدخله أحد هذه الأنهار الثلاثة فورد يوم القيامة طيّبًا طاهرًا فلم يحتج إلى التطهير الرابع"..

٤- تمسك ببوابات التقوى:

البوابة الأولى: بوابة العدل: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾

عدل له صورة خاصة ليس كأي عدل..! إن وجدت فيك قفزت بك في عالم التقوى..!

قال تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾..

---

[١]- السلسلة الصحيحة للألباني.
[٢]- السلسلة الصحيحة للألباني.
[٣]- أخرجه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة.
[٤]- رواه أحمد والحاكم وغيرهما.

عدل خاص مع وجود الكره والبغض والغضب..!

ابتلاء كبير لا يستطيعه إلا الكبار أصحاب النفوس الشريفة، علق ابن رجب فقال: "وهذا عزيزٌ جدًّا"..!

الغضب يخرج صاحبه عن السيطرة فيقول كلاما ليس فيه شيءٌ من الحق؛ لذلك جاءت وصية الرسول ﷺ: "لا تغضب"[1]، بل كان في دعائه ﷺ يسأل ربه هذا العدل تحديدًا: "وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب"[2] لأنه من كواشف التقوى: العدل وقت الغضب، فالنفس تحب الانتقام والتَّشَفّي.. كذلك الحال في البغض الشديد الذي بلغ منتهاه يجعل الإنسان غير منصف.. لا يقول المعروف.. ولا يأمر بالعدل..!!

لذلك؛ جاء الربط العجيب بين العدل والتقوى: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾

المّتقِي هو الذي يستطيع أن يلجم غضبه ومشاعره.. وقد تكرر لفظ التقوى في آيات الطلاق أربع مرات..

فحالات الطلاق فيها ما فيها من الشجار و الفجور في الخصومة وبذاءة اللسان ونشر العورات والكلام في الشرف والعرض وذكر المعايب من كلا الزوجين مما يدل على فقدان التقوى وموتها في ذلك الوقت.. غيّبت التقوى تمامًا..!

لن تلبس لباس التقوى إلا إذا اتقيت الله في لسانك خاصة في حال الغضب والبغض..

أكثر خطايا ابن آدم في لسانه.. أكثر ما يُكبّ الناس في النار بسبب ألسنتهم.. وأكثر ما يطمس نور التقوى في القلوب اللسان..

كلمة تهوي بصاحبها سبعين خريفًا في نار جهنم.. لن تكون من المتقين إذا كنت تستبيح أعراض الناس خاصة الأزواج في حال الطلاق..

[1]- أخرجه البخاري.
[2]- رواه النسائي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني.

البوابة الثانية: بوابة العفو: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

العفو و التقوى متلازمان.. لا يستطيع أن يعفو إلا من كان متقيًا، قد أسقط الدنيا من قلبه بكل ما فيها من شجار وخصومات.. ولا يبقى في حسابه سوى أنه يريد أن يتاجر مع الله فيدخل عليه من بوابة العفو..

" ومن عفا عفا الله عنه.. ومن أقال العثرات أقال الله عثرته.. ومن تحمل الذلّ في سبيل الله كان عاقبته العزّ العظيم من حيث لا يحتسب"

بدؤك بالعفو والصُّلح تعظيمًا وإجلالًا لله تعالى سيرفعك الله به..

العفو سلم ترتقي به لتصل إلى مرتبة الولاية لأنك تغلبت على جبل كبير.. جبل العجب والكبر والتشفي والأثرة في نفسك فتترك كل ذلك تقديمًا لله..

التقوى ليست ادعاءً إنما فعلٌ حقيقيٌّ.. فأين نحن من التقوى..؟!!

أسأل الله أن يرزقني وإياكم التقوى وأن يجعلنا من المتقين وأن يرفع درجاتنا مع درجات المتقين...

اللقاء الثالث...

* بعد الأمر بالتقوى.. وتكرار الأمر بها جاء تحذير قوي.. تهديد قوي من الله ﷻ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

إن من عباد الله من نسي الله..! وكيف ينسى العبد ربه..؟!

ليس المقصود أن ينسى أن الله ﷻ هو الذي خلقه وخلق السموات والأرض؛ إنما المقصود أنه نسى شريعة الله.. نسي دين الله.. ونسي فرائض الله..!!

كل من لا يقيم لصلاته وزنًا فقد نسي الله..! كل من لا يقيم للقرآن وزنًا فقد نسي الله..!

كل من لا يقيم لحدود الله وحرماته وزنًا فقد نسي الله..! والنتيجة امام هذا النسيان: ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾..!!

وهذه من أكبر المصائب يوم أن ينسيك الله نفسك فتضيعها وتضيع.. يسلّط الله عليك نفسك.. يسلط الله عليك شيطانك.. يسلبك الله معيته.. يتركك ويتخلى عنك..!

ويصبح هذا العبد مصروفًا في شقاوة نفسه.. في عداوة نفسه.. يوقع نفسه في المهالك.. يهدر عمره.. يضيع أوقاته.. يفوّت على نفسه مصالحها.. ينفرط عليه أمره؛ وقد كان الشيخ ابن عثيمين رحمة الله عليه يقول لطلابه: " إذا رأيت وقتك يتبدد منك من غير أن تستفيد منه ولا تخرج منه بفائدة في دينك وفي دنياك فاحذر أن تكون من أهل هذه الآية: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ -أي ينفرط عليه أمره كما تنفرط حبات السبحة ويصبح في أمر مريج- لأن من ضيّع الله ضيّعه الله.. وفي المقابل: من يحفظ الله سيحفظه الله..

الله ﷻ لا يضيع من يحفظونه وقانون الحفظ معروف ذكره النبي ﷺ: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك" تجد الله معك في كل أحوالك.. لن يتركك.. لن يتخلى عنك بل يحوطك ويسددك ويدافع عنك وينصرك ويقودك للخير و يسوقك إليه.. يحفظ عليك قلبك وإيمانك.. يحفظ عليك ذريتك وصحتك.. بل من دقائق الحفظ أن ينزع الله ﷻ الوساوس والهواجس والخواطر والواردات التي تشغل القلب وترد عليه فيسلم لك قلبك بالتالي تسلم لله عبادتك..!

تسلم لك طاعاتك وعلى رأسها الصلاة.. تقيمها و تخشع فيها.. تتلذذ فيها.. وإذا أفلحت في صلاتك أفلحت في سائر عملك.. وإذا ضيعتها فأنت لما بعدها من الأعمال والطاعات أضيع..!

ثم جاء قوله تعالى:﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾

بدأت الآية بلفظ الاستواء: لا يستوي أصحاب النار و أصحاب الجنة..

هنا يأتي التفضيل بين الناس باعتبار خواتيمهم.. باعتبار نهاياتهم؛ لأن العبرة بالخواتيم لا بالدنيا..!

ونفي الاستواء هو أبلغ طرق التفضيل، وهذه قاعدة سلكها القرآن: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾، وقوله تعالى: ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ﴾، وفي سورة النساء أيضًا: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾

إذن لا يستوون..!

لا يستوي أصحاب الجنة مع أصحاب النار.. لا يستوي من حفظ مع من ضيع الله ونسي الله..!!

لا يستوي من قدمه الله مع من أخرّه الله..!!

والله ﷻ هو المقدم وهو المؤخر.. يقدم من يشاء بفضله وتوفيقه.. ويؤخر من يشاء بعدله..!

يقدم من يستحق هذا التقديم ويكون أهلًا له.. ويؤخر من يستحق التأخير؛ وقد ورد في الحديث: " ولا يزال أقوام يتأخرون حتى يؤخرهم الله" بل هناك من يثبطهم الله فلا يحرك قلوبهم.. ولا يبعث هممهم ولا عزائمهم.. بل يلقي في قلوبهم حب التباطؤ والتثاقل والميل إلى الدنيا كما قال سبحانه في سورة التوبة: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾

الله ﷻ لا يعطي السبق والتقديم والتفضيل والعلم والهداية والخير إلا لمن يحرص عليه ويسعى له.. لابد أن تسعى وتحرص حتى يملأ الله وعاءك.. فمن بذل نفسه لله.. وقته.. صحته.. عقله.. ماله.. بقدر هذا البذل وبقدر هذا السير سيقدمه الله و **" من أتعب نفسه لله فإن الله يريحه.. ومن بذل نفسه لله فإن الله يقدمه"**

إذا وقعت مسألة التقديم والتأخير في القلب كما ينبغي تصبح من أهم المحاور التي تغيرك في حياتك.. تغير تفكيرك.. تغير أولوياتك.. تغيرك فتبدأ ترى أين أنت من هذا التقديم والتأخير..؟

هل قدم عليك أحدًا..؟ هل أخّرك لأنك تستحق هذا التأخير..؟

الله لا يجعل عبدًا أسرع إليه كعبدٍ أبطأ عنه.. لا يجعل عبدًا تقدم إليه كعبد تأخر عنه

إذن مسألة التقديم والتأخير من القضايا المهمة جدًّا التي ينبغي للعبد أن يحزم أمره فيها حتى لا تضيعَ عليه دنياه وآخرته وينفرط عليه أمره.. لا يستوي هذا مع هذا..!

ثم جاء المثل العظيم الذي ضربه الله عز وجل للناس من أجل أن يتفكروا فيه.. من أجل أن يكون له مردود إيماني عليك حين تقرؤه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وحتى نربط بين الآيات؛ ما علاقة الحديث عن القرآن بالآيات التي قبله..؟

والجواب:

القرآن أساس التفضيل بين الناس.. أساس التمييز بين من قدمه الله وبين من أخره الله.. أساس التمييز بين نسي الله ومن حفظ الله.. أساس التمييز بين أصحاب الجنة و أصحاب النار..

و ورود هذا المثل يعني أننا ما زلنا في مواضيع يشد بعضها بعضًا، وهذا من إحكام القرآن، والكلام لا يكون محكمًا إلا إذا كان مترابطًا متناسقًا لا تناقض فيه ولا تعارض..

هذا القرآن الذي نقرؤه للأسف بكل غفلة.. بكل فتور.. بكل ثقل.. بعدم إقبال.. ونجرّ أنفسنا جرًّا..

لو نزل على جبل - والجبل ما هو إلا رمز للأشياء الصلبة القوية الجامدة المتماسكة- سيتأثر ويخشع..!!

ومن آثار خشوعه تصدعه وتشققه..!

وقد أخبر الله ﷻ عن الجبال في القرآن بخبر عجيب..

- أخبر سبحانه عن اندكاك الجبل: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾..

- أخبر سبحانه عن سجود الجبال وتسبيح الجبال: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾..

- أخبر سبحانه عن انشقاق الصخر والحجر .. انفجار الأنهار وخروج الماء منها.. وأخبر عن سقوط الحجارة والصخور:

﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾

هذا الاندكاك.. هذا السجود.. هذا التسبيح.. هذا التشقق.. هذا التصدع.. هذا السقوط للصخور.. هذا كله هذا بما أودعه الله في الجبال من إدراك لتحقق به العبودية لله.. فتخضع لله وتذل له وتخشع.. وهي جمادات..!!

قلوبنا نحن البشر تصلبت.. تحجرت.. يبست.. جمدت.. قست حتى فاقت في قسوتها قسوة الحجر و قسوة الجبل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾..! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم...

نقرأ القرآن.. نختم القرآن.. نستمع للقرآن.. نعلّم القرآن.. ندرس القرآن.. نسمع المواعظ والدروس لكن لا ترقّ قلوبنا..! وقد قال أهل السلف: "اطلب قلبك في ثلاثة مواطن: في الصلاة، وعند قراءة القرآن، وفي مجالس الذكر؛ فإن لم تجده فسأل ربك أن يرزقك قلبًا فإنه لا قلب لك"..

القسوة مرضٌ وآفة من الآفات الخطيرة الكبيرة التي تصيب القلوب..

عقوبة ينزلها الله ﷻ يضرب بها على هذه القلوب فتيبس وتتصلب و تصبح أقسى من الحجر..!

والقسوة أمرٌ معنوي؛ وما منا أحد إلا وفيه حسكة من هذا المرض ومن هذا الداء ولا يستطيع أحدٌ أن يدعي غير ذلك. خاصة في مثل هذه الأزمنة و هذه الفتن التي نتقلب فيها ليل نهار.. بل تأتي أوقات نتمنى لو شققنا صدورنا شقًّا

وأخرجنا هذه القلوب من قسوتها..! نكره قلوبنا التي بين صدورنا.. لأنه إذا قسى القلب قلّ خيره.. وقلّ نفعه وأصبح صاحبه أبعدَ الناس عن الله.. و إذا بَعُدَ العبد عن ربه بَعُدَ عن كل خير.. بعد عن كل رحمة.. بعد عن كل توفيق..

إذا قسى القلب قلّ فهمه وقلّ تدبره.. وإذا قسى القلب: قَلَّتْ دموعه وهذا من أعظم الحرمان.. ومن أعظم الغبن.. ومن أعظم المصائب على العبد يوم أن يحرم البكاء من خشية الله:

١- الدموع رزق من الله تعالى: فإذا كانت دموع العبد حاضرة.. قريبة.. تسبقه إذا قرأ القرآن.. إذا حضر مجالس علم.. و إذا تدبر في أسماء الله وصفاته أدخلته هذه الدموع في دائرة من مدحهم الله وأثنى عليهم: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾

٢- البكاء من خشية الله سبيل النجاة، سأل عقبة بن عامر النبي ﷺ: يا رسول الله ما النجاة..؟

فأرشده رسول الله ﷺ إلى ثلاثة أمور إذا أكرمك الله بها فأنت على سبيل النجاة، قال: "أمسك عليك لسانك ولْيسعَك بيتك وابكِ على خطيئتك"[١]

٣- من رُزق الدموع فقد ضمن وعدان من رسول الله ﷺ: "عينان لا تمسهما النار، عينٌ بكت من خشية الله وعينٌ باتت تحرس في سبيل الله"[٢] والوعد الثاني: من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله قال: "و رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه"[٣]؛ لذلك:

- يقول عبد الله بن عمرو بن العاص: "لَأَن أدمع دمعة من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار"..!

- يقول كعب الأحبار: " لَأَن أبكي من خشية الله فتسيل دموعي على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بوزني ذهبًا"..!

- السيدة عائشة بكت حتى بلّت خمارها..!

- عبد الله بن مسعود ﷺ كان يبكي حتى يملأ كفيه من دموعه..!

- أبو موسى الأشعري ﷺ صعد على المنبر وأخذ يخطب الناس فبكى حتى بل المنبر..!

ما بلّ ثوبه.. ولا بلّ لحيته..! وإنما حتى بلَّ المنبر..!

- الإمام الأوزاعي كانت تدخل عليه أمه بعد أن ينتهي من صلاته فتجد مكانه رطبًا من كثرة دموعه وبكائه..!

- سفيان الثوري العالم الضخم.. إمام المحدثين.. يصفونه كأنه رجل في سفنية يخاف أن تغرق في أي لحظة..!

أكثر كلامه: يا رب سلّم.. يا رب سلّم..!

مرض فأخذوا بوله للطبيب فقال: هذا ماء رجل أحرق الخوف جوفه..!!

---

[١]- رواه الترمذي وصححه الألباني.
[٢]- رواه الترمذي وحسنه وصححه الألباني.
[٣]- رواه البخاري ومسلم.

هذه قلوبهم وهذه دموعهم.. هذا خوفهم وهذا لينُ قلوبهم.. وقبلهم جميعًا رسولنا ﷺ، روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: " دخل رسول الله في لحافي حتى مسّ جلده جلدي ثم قال: يا عائشة أتأذنين لي أن أقوم، فقالت: والله إن يلأحبّ قربك ولكني لا أحجزك عن ربك، قالت: فقام وتوضأ وصلّى فبكى حتى بلَّ لحيته، ثم لما سجد بكى حتى بلَّ الأرض، ثم لما رفع بكى حتى بلَّ حجره"[1]

هؤلاء قد عرفوا أن أشرف بكاء.. وأنفع بكاء.. وأعظم بكاء.. يوم أن يبكي العبد من خشية الله..!

هذا البكاء لا يأتي إلا من قلوب حية.. قلوب ساخنة.. قلوب عامرة شفافة.. مُلئَت بالإيمان.. هم حين يبكون لا يذرفون دمعة أو دمعتين بل تفيض أعينهم من الدمع..!

هذا يبلُّ لحيته.. وهذا يبلُّ منبره.. وهذا يبلُّ الأرض.. وهذه تبلُّ خمارها..!!

وماذا عنا نحن..؟؟

نعترف أننا ما وصلنا لهذا مطلقًا لكن...!

من أين أُتِينا.. ومن أين أُبتُلينا..؟

قست قلوبنا حتى صارت أقسى من الحجر.. تمرُّ الأيام والليالي وما بكينا من خشية الله..!

قست قلوبنا حتى صارت أقسى من الحجر.. تمرُّ الأيام والليالي وما بكينا من خشية الله..!

فما الذي أصاب قلوبنا حتى تُصبح بهذه القسوة..؟؟

هناك عدة أسباب، منها:

١- قلة قراءة القرآن:

ضعف العلاقة بالقرآن وهجر قلوبنا له، وأكثر الناس حجبًا عن الله وأقسى القلوب هم الذين لا يقرؤون القرآن وينفرون منه كما تنفر الحُمُر الوحشية إذا رأت الصياد: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ الحُمُر الوحشية إذا رأت لصياد تفرّ منه يمينًا وشمالًا وأمامًا وخلفًا.. وبعض الناس يفرّ ون وينفرون من القرآن كما تنفر الحُمُر الوحشية، والبيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن يصيق بأهله فكيف بالقلب..؟؟ يقول أبو هريرة ﷺ: " والبيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن ضاق بأهله وقل خيره وحضرته الشياطين وخرجت منه الملائكة"[2].

كلما ابتعدت عن القرآن ورضيت بالقليل منه ستبتلى بالوحشة وبقسوة القلب وبالإقفال والإغلاق على القلب لأن الزهد في القرآن علامة حرمان وخذلان، وكل الناس يتقلبون بين توفيق الله وخذلانه وأعلى درجات التوفيق أن يُوفق

[1]- حديث ضعيف يرتقي بمجموع طرقه إلى الحديث الحسن.
[2]- كتاب الزهد لابن المبارك.

العبد في صحبة القرآن فيُصبح في أُنس في مدارسته لكتاب الله، وكل من حُرم هذا فليعلم يقينًا أن هناك ذنوبًا حرمته وصرفت قلبه عن القرآن وكل من صُرف عنه أُبتلِي بالقسوة و لا قسوة إلا بانقطاع، لأن القرآن نور، وقراءة القرآن نور، وصحبة القرآن نور، ومن قطع نفسه من القرآن حرم نفسه من هذا النور بالتالي لن يرقّ قلبه ولن يلين وقد كان النبي ﷺ يحذر أصحابه من هذا الانقطاع في أحاديث كثيرة نذكر بعضها: " يا أبا ذرّ عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء"، وفي الحديث الآخر: " اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، لا أقول (ألم) حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف"، وقال عليه الصلاة والسلام: " مقل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب"..

٢- نقض العهد:

ونقض العهد شديد على القلب وقد نصّ عليه القرآن نصًّا، يقول أبو الوفاء: " يا من يجد في قلبه قسوة احذر أن تكون قد نقضت عهدًا فإن الله يقول: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ سواء نقض العهد مع الله أو مع الناس، يعاهد ربه وينقض، يعاهد الناس وينقض، وقد أخبر الله ﷻ في سورة التوبة عن ذلك الرجل الذي قال لئن أعطني الله من فضله لأصدقن ولأفعلن.. فلما أغناه الله من فضله نقض عهده مع ربه ولم يفعل شيئًا فأتته العقوبة: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾..!

فكل من وجد في نفسه عدم التلذذ بالطاعات، وعدم التلذذ بالعبادات، وعدم التأثر بالقرآن أو حيل بينه وبين الطاعات والعبادات والخشوع والخضوع فليراجع عهوده فربما نقض عهدًا..!

والمؤمن قد تحصل منه غفلة لكنها ليست ديدنه..

فما ابتليت من القسوة إلا لأنك عاهدت ثم نقضت والله لا يظلم أحدًا من خلقه..!

٣- أذية الخلق:

ظلم الخلق وأذيتهم تورث القلب نكدًا لا يكاد ينتهي..!!

لأنه لا ظلم ولا أذيّة إلا من قلب قد اعتراه السواد وتراكمت فيه الظلمات حتى أصبح مؤذيًا، وشرّ الناس من عاش في الدنيا مؤذيًا لعباد الله، والله يكره أذية المؤمن وتوعد الذي يؤذون المؤمنين بالعذاب الأليم، وكلمة (أليم) من الله ليست هيّنة لأن الله وحده يعلم ما وراء هذه الأذيّة فيُضرب على قلوبهم فتقسو ويعيشون في شقاء لا يذوقون معه طعم السعادة مقابل الألم الذي أذاقوه للناس وربما يطول الألم..!

وقد يكونون أصحاب قيام ليل وربما لا تفوتهم ليلة ولا وتر ولا ختمة في كل شهر، وقد تتعجبين كيف رُزِقوا هذا القيام وهم على هذه الحال لكن لعل الله سخرهم أن يعملوا لغيرهم..!

نعم قد يُرزقون هذا لكنهم يُسلبوا حضور القلب والدموع وتدبر القرآن لأنها أرزاق شريفة..

٤- كثرة الشهوات والملذات:

ليس المقصود أن ننقطع عن الدنيا لكن المقصود الإكثار والإغراق والإسراف: كثرة المآكل والمشارب، كثرة الخروج والكلام والسهرات، شهوات البطن، شهوات الفروج حتى قلّ من يتعبّد الله في هذا الزمان..!

يفرح الواحد منا إذا مرّت عليه ساعة لم يتلكم ولم يخُض.. يفرح بالصمت لأنه كم من كلمة يسودّ بها القلب.. وكم من كلمة تفتح قسوة على القلب.. لأن القلب كالمرآة إذا اقتربت منها وتنفست مجرد النفس يُؤثر على المرآة..!

والقلب أشد صفاءً ورقة وتأثرًا من المرآة..!

الكلمة تؤثر عليه.. والنظرة تؤثر عليه.. والخطوة تؤثر عليه.. والسماع يؤثر عليه.. وكل شي يؤثر على هذا القلب.. لذلك إذا كان الإنسان كثير الفضول وشُغل بهذا ثقُل عليه أن يفتح المصحف ويقرأ فيه، وإذا دُعي إلى مجلس علم ثقُل عليه فتراه يتقدم مرة ويتأخر مرات وسبب هذا كثرة إشغال القلب بالصوارف والمُلهيات والعوائق حتى يصير القلب محبوسًا ضيقًا تعِسًا حزينًا..!

كل من أراد أن يرِقّ قلبه فليتخفف من الدنيا بقدر المستطاع، يأخذ منها بقدر حاجته وكفايته، والله إذا أحبّ العبد نزع من قلبه حب الدنيا..

٥- قلة عبادة السرّ:

من أعظم الابتلاء الذي يُبتلى به الإنسان إظهار الأعمال والعبادات والطاعات والقرُبات..!

هذا يؤثر على القلب ويؤذيه لأن الإنسان إذا تعوّد أن تكون كل أعماله في العلانية يراها الناس ويعرفها.. هذا يمدح وهذا يُعجب وهذا يُثني فلا يستطيع أن ينزع الناس من قلبه، ولا يستطيع أن يُصفّي إخلاصه لأن الإخلاص عزيز..!

قال مالك بن دينار: " من أراد أن يفتح الله على قلبه فليكن عمله في السرّ أكثر من عمله في العلانية لأن عمله في السر منبع الإخلاص" والعمل كلما كان في السرّ كان أدعى وأقرب إلى القبول فلا تفرح بثناء الناس لأنهم يمدحون ظاهرك والله وحده يعلم ماذا يدور في باطنك..

ابن الجوزي كان يُحذر جلساءه وطلابه من قضية إظهار الأعمال ويقول: [إياك إياك أن تُطلع من باسطته على سرّك مع الله] فإذا فتح الله لك في باب فلا تطلع عليه أحدًا مهما كان قربه منك، احرص على الخفاء وعبادة الخلوات لأنها تزيد الإيمان والإيمان إذا زاد وتدفق في القلب يصبح قلبًا أوّاهًا مُخبتًا وجلًا خاشعًا خاضعًا..

فاحذر كل الحذر أن تفقد نفسك أو أن تكون كل أعمالك في العلانية وليس لك في الخفاء شيئًا لأن كل من أظهروا أعمالهم وكانت عبادات السرّ عندهم قليلة هؤلاء على مشارف النفاق والعياذ بالله، جاء رجل إلى حذيفة بن اليمان ﷺ فقال: " هل أنا من المنافقين..؟ فقال: هل تُصلي إذا خلوت وتستغفر إذا أذنبت..؟ قال: نعم، قال: اذهب فما جعلك الله مُنافقًا" نعوذ بالله من النفاق..

٦- الجفاء والغلظة في الطباع:

احذر أن تكون جافًّا غليظًا في طباعك فتنتقل غلظتك إلى قلبك..!

وُصف النبي ﷺ بأنه أحسن الناس عشرة وألين الناس عريكة، ليّنًا سهلًا قريبًا، كان نسيمًا يمشي بين أصحابه لم يكن قاسيًا ولا غليظًا ولا جافًّا بل كان يحذر أصحابه من هذه الصفة بالذات فيقول: " إن الله يُبغض كل جعظري جواظ" والجعظري هو الشخص الغليظ الوعِر الذي لا تستطيع أن تخرج منه بشيء، مصطلحات الحب والحنان والرفق ليست في قاموسهم..!

وفي المقابل: " إن الله رفيق يحبّ الرفق" فالرفق والسماحة إذا كانت من صفاتك انتقلت إلى قلبك وطباعك والقاعدة تقول: **الظاهر يؤثر على الباطن..**

وفي الحديث ذلك الأعرابيّ رأى الرسول ﷺ يُقبّل الحسن والحسين فقال: أتُقبّلون صبيانكم، إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدًا منهم..! فقال النبي ﷺ: " وما أملك لك إن نزع الله الرحمة من قلبك"..!

تفقد طباعك وصفاتك لأنه بقدر ما تحرم من الرفق والسماحة بقدر ما تبتلى بالقسوة..!

٧- البعد عن العلم ومجالس العلم:

إذا أقبل الإنسان على مجالس العلم استروح قلبه لأنها من رياض الجنة والنبي ﷺ يقول: " إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة..؟ قال: مجالس الذكر".

مجالس الذكر جنة الدنيا.. مجالس تطلبها الكلائكة.. تتنزل من أجلها.. تحيط بأهلها وهذه الإحاطة فيها خير كثير وعلى رأس هذا الخير استغفار الملائكة لمن يجلسون في حِلَق العلم والمواعظ ونحن أحوج ما نكون لهذا لأن ذنوبنا كثيرة ومعاصينا كثيرة وهذه الذنوب تحجب عن القلب الحلاوة واللين والرقة وكمال الانشراح وأكثر من يُبعد هذه القسوة عن القلب مجالس العلم وتعلم العلم وطلب العلم بل إن البحث عن العلم وسماعه وحبه رزق لأن العلم حسنة من الحسنات والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وأكثر من يتعرض لمحو السيئات هو طالب العلم؛ بل إن النبي ﷺ عرض على فقراء الصفة عرضًا عجيبًا فقال: " أيحبّ أحدكم أن يغدو إلى بطحان والعقيق فيرجع بناقتين كوماوين..؟ قالوا: كلنا يحب هذا يا رسول الله، فقال: لأن يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم آية أو آيتين ..." والمعنى أن الثراء الحقيقي والغنى الحقيقي والربح الحقيقي هو أن تحضر مجالس العلم وتتعلم ولو آية أفضل لك من ناقة كوماء، هذا هو الكنز الذي يدخره العبد لنفسه يوم القيامة..

فرق كبير بين مجالس العلم هذه ومجالس الغفلة التي ابتلينا بها..!

وقد أخبر النبي ﷺ أن مجالس الغفلة شر على أصحابها، يتفرقون منها كما يتفرق الناس إذا اجتمعوا على جيفة حمار..!

بأي قلب سيتفرقون..! هل سيخرجون منها بقلوب رقيقة ليّنة..!

هذه مجالس غفلة لا يذكر فيها الله.. فكيف بمجالس المعصية والغناء والموسيقى والهمز واللمز..!!

ستقسو قلوبهم.. ستهرب منهم بل ستصبح قبرًا متحركًا في صدور أصحابها..!

كل من أراد أن يرِقّ قلبه فلا يبتعد عن مجالس العلم ولا عن سماع المواعظ لأن القاعدة تقول:

"إذا أكثر ت من سماع الخير يسلم لك قلبك"..

نسأل الله أن يطهر قلوبنا من كل خبث وشر وقسوة..

اللقاء الرابع...

* أعظم من يصف الله هو الله تعالى.. وأعظم من يتحدث عن الله هو الله ﷻ..

مهما تكلم البشر والعلماء وطلبة العلم والمفسرين والمتدبرين.. فكلامهم يتقاصر أمام ثناء الله على نفسه ومدحه لذاته وأسمائه وصفاته، والحقيقة أن الإنسان يستحي أن يتصدر للحديث عن أسماء الله ﷻ ويتكلم فيها وهو يعرف نفسه وبضاعته المزجاة.. يعرف قلة عمله وكثرة ذنوبه وتقصيره وزلاته.. ومع ذلك يظل العبد يرجو ويطمع ويرغب في أن يكون ممن يدل العباد على ربهم.. و يكون سببا في تعظيم الناس لربهم ومعرفتهم وحبهم لخالقهم..

ثم ينتظر بعد ذلك أجر الدلالة على الله فتكون هذه الدلالة من أعظم وأثقل الأعمال التي توزن في ميزانه يوم القيامة..

حُقَّ لنا جميعًا أن نفرح لأننا لن نتكلم عن المخلوقين وإنما عن الخالق ﷻ وتقدست أسماؤه.. وإذا فرح العبدُ بالكلام عن الله وأصبح الحديث عن ربه أشهى إليه من كل حديث؛ فهذه علامة إيمان وعلامة تعظيم قامت في قلبه وأن له منزلة عند ربه..

* سأل النبي ﷺ أبيَّ بن كعب ﷺ: "يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ..؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فأعاد النبي ﷺ السؤال عليه مرة أخرى قَالَ : يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، " أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ..؟ قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّوم" ففرح النبي ﷺ بهذه الإجابة.. قَالَ : فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ"[1]، أي هنيئًا لك توفيق الله لك لفهم كتابه..

تأمل هذا المشهد..!

سؤال النبي ﷺ المفاجئ وَ جواب أبي ﷺ المباشر..!

ما ترك له رسول ﷺ مدة زمنية ليفكر ويبحث في مصحفه..!

ياترى .. كيف وصل أُبيّ ﷺ لهذه الإجابة من بين آيات القرآن وهي قرابة الستمائة آية..؟!

١- ركز أولًا على آيات التوحيد لأنها أفضل آيات القرآن.. ثم ركّز على آيات الأسماء و الصفات.. ثم انتقى من آيات الأسماء والصفات آية الكرسي لكثرة وعظيم ما فيها من أسماء الله وصفاته فقد عرضت جوانب عظمة الله في: حياته، قيُّوميَّته، مُلكه، سلطانه، سعة العلم، إحاطته، عظمة مخلوقاته..

[1]- صحيح مسلم.

٢- آيات القرآن تتفاضل، وتفاضلها لا يأتي من حيث المتكلم بها ولكن بحسب معانيها؛ لذلك: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ليست ك : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ وكلام الله عن نفسه ليس ككلامه عن خلقه..

٣- حبُّ آيات الصفات ينال بها العبد حبَّ الله تعالى وتكون سببًا لدخوله الجنة ودليل ذلك: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ لا يَقْرَأُ بِأَصْحَابِهِ فِي صَلاتِهِمْ إِلاَّ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: سَلُوهُ لأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّهُ.

وفي رواية أخرى: "حبك إياها أدخلك الجنة" ولدينا وعدٌ من الله في حديث الرسول ﷺ: " إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة"

أحصاها : أي حفظها وعمل لمقتضاها وفهم معانيها وتعبد الله بها.

٤- لهذه الأسماء أثر في زيادة الإيمان.. وله أثر خاص ومميز على القلب في غرس مقام الأدب مع الله تعالى..

"من رُزق الأدب فقد رُزق رزقًا شريفًا وحصّل سعادة الدنيا والآخرة"

مقام كبير عالٍ لا يرزقْه أي أحد.. ولا يستقيم سيرُ العبد إلى ربه إلا بالأدب..

٥- لهذا العلم أثر في العبادة.. من عرف الله أوتي من القدرة على العبادة ما لم يؤتَ غيره؛ لأنه عرف الله، ومن عرفه أحبه ومن أحب صبر على الطاعة لأن **"المحب صبور.."** المحبة تسوقه إلى الله سوقًا فلا يجد في نفسه كلفة فيها..

- كان ابن عمر ﷺ لا ينام الليل إلا قليلًا..!

- عثمان بن عفان ﷺ كان يقف من بعد صلاة العشاء يقوم الليل كله بركعة واحدة يختم فيها المصحف كاملا..!

- السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تصوم ويُؤتى لها بالشاة فتوزعها كلها ولاتبقي لها منها شيئًا..!

٧- هذا العلم يغير الإنسان تمامًا: فإذا علم العبد أن الله ﷻ قد كتب المقادير كلها قبل خلق السموات والأرض بخمسين سنة.. وعلم أن ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن.. وأنّ قدر الله ماضٍ فينا.. وما كتبه الله سيأتينا.. وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع..

إذا ظلّت مثل هذه المفاهيم حاضرة في قلب العبد.. ستتغير حياته حتمًا.. ستتغير نظرته وتعامله مع المخلوقين والدنيا.. ستتغير نظرته لكل شيء..

والخلاصة:

هذا العلم هو العلم الحقيقي.. العلم النافع الذي ينتفع به الإنسان في الدنيا والآخرة..

كل من لم يعرف الله ولم يصل إليه وكان جاهلًا به؛ لو حصّل شهادات الدنيا كلها لا تغني عنه شيئًا وما وصل إلى شيء.. وما عرف شيئًا لأنه جاهلٌ بربه..!

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

* بدأت الآيات بلفظ الجلالة: " الله "..

وهو عَلم على الذات الإلهية، هو أعم الأسماء وأعظمها، وتُعرف به جميع الأسماء والصفات وجميعها تدخل في لفظ الجلالة " الله"..

ومعنى اسم الله: هو المألوه أي المعبود، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ أي: الله المعبود الذي يعبده أهل السماء ويعبده أهل الأرض.. كلُّ المخلوقات من إنس وجن وجبال وأشجار ورياح.. كلهم يتألهون الله ويعبدونه سبحانه ويخضعون له..

- سأل رسول ﷺ أبا ذر عن الشمس لما غابت فقال له: " يَا أَبَا ذَرّ أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُب الشَّمْس؟" قُلْت: اللَّه وَرَسُوله أَعْلَم، قَالَ ﷺ: "فَإِنَّهَا تَذْهَب حَتَّى تَسْجُد تَحْت الْعَرْش"[1]..!

هذه الشمس.. المخلوق العظيم والآية المعجزة ماهي إلا مخلوق مسخر مأمور.. فإذا غربت تسجد تحت العرش خاضعة ذليلة مستسلمة لكبرياء الله وعظمته..!

[1]- رواه البخاري.

- الملائكة وهم أعظم المخلوقات وأقربهم لله.. لا يعصون الله ما أمرهم.. ما خلقهم الله إلا لطاعته..

ومع عظم شأنهم لما يتكلم الله بالوحي ويأمر بأي أمر.. ماذا يصيب ملائكة السماء..!

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنها سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك"[1]

تخضع بأجنحتها وتنزل وتنخفض تعظيمًا لله.. وكأن هذا الصوت سلسلة على صفوان - أي سلسلة حديد على حجر أملس- ينفذهم.. يُدخل الفزع على قلوبهم ثم يغمى عليهم ولا يعلمون بأي وحي تكلم الله..!!

وإذا تكلم الله ﷻ بالوحي أخذت السموات منهم رعدة أو رجفة خوفًا من الله فإذا سمع ذلك أهل السموات صُعقوا وخرّوا سجدًا..! ثم يُزال عنهم.. فإذا زال عنهم بدؤوا يتساءلون.. فتقول الملائكة: ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾وأول من يرفع رأسه من الفزع هو جبريل عليه السلام فيأخذ الوحي ثم يمر على بقية الملائكة حتى ينتهي بالوحي إلى حيث أراد الله.. هذا هو حال الملائكة..! لذلك استنكر الله على البشر: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾.. ما الذي دهاكم..! ما الذي أصابكم حتى نقص تعظيم الله في قلوبكم..!

* يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾

آية من آيات التعظيم القوية..!

لو أن كلَّ شجرة في الكرة الأرضية تحولت إلى أقلام.. وكان البحر في الكرة الأرضية ومعه سبعة أبحر وهي المداد التي تكتب به الأقلام.. لتكسرت الأقلام وما انتهت ولا نفدت كلمات الله..!!

لذلك غضب الرسول ﷺ من الأعرابي وقال له: ويحك أتدري ما الله..!!

والله ما قدرنا الله حق قدره.. ولا عظمنا الله حق تعظيمه.. لأننا ما عرفناه حق معرفته..

ولا يمكن للعبد أن ينزل قلبه في مقام التعظيم - وهي منزلة من منازل إياك نعبد وإياك نستعين- إلا إذا عرف الله..

إذا أردنا التعظيم لابد من العودة إلى معرفة الله ﷻ..

[1]- رواه البخاري.

* "عالمُ الغيب والشهادة":

أي يعلم السر والعلانية.. أحاط علمه بكل شيء.. أحاط علمه بالظواهر والبواطن.. بالعالم العلوي والعالم السفلي.. بالبر والبحر.. بالجبال والكهوف.. بالماضي والمستقبل..

أحاط علمه حتى بدقائق الخلق: ﴿* وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾

لايعزب عنه مثقال ذرة: سواء كانت الذرة بحجم صغار النمل أو بمقدار الهبابة من الغبار.. لا تخفى ولا تحجب عن الله..!!

أيُّ ورقة.. وكل ورقة.. أين سقطت..؟ وكيف سقطت..؟ وعلى أي أرض سقطت..؟ وأي رياح هبت فيها..!!

يعلم سبحانه تفاصيل خلقة وقطرات البحر فالبحر الأحمر والبحر المتوسط والمحيطات.. وقطرات الماء في الأنهار.. والمحيطات.. وكم قطرة تبخرت..؟ وكم قطرة بقيت وتكونت..؟!!

يعلم تفاصيل خلق البعوضة.. مخها وعروقها ودمها.. أين طارت..؟ وكم لدغت..؟ وكم ستلدغ وكم وكم..!!

فإذا كان الله يعلم تفاصيل خلقه.. ويعلم كل هذه الدقائق فلن تُحجب عنه يا ابن آدم..!

من آثار التعبد بهذا الاسم:

١- يستحي العبد من نظر الله له، ويستحي أن يجعل الله أهون الناظرين إليه؛ بل يجل نظر الله إليه..!

فإياك أن يراك الله في مكان أو على وضع لا يحبه سبحانه فتسقط من عينه.. ومن سقط من عين الله فلن يرفعه أحد - إلا أن يتداركه الله برحمته- لأن الذنوب تسقط بأصحابها، وتذهب بكرامتهم، ويرى من تسلط الخلق عليه وعدم احترامهم له: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾

٢- يستشعر الأمان مع الله فيزداد خوفه، ومن أكثر الآيات التي تخيفه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ولفظ الخيانة مخيف؛ لأن أكثر ما يهم الصادق في سيره إلى الله والمتعبد لله بأسمائه وصفاته أن لا يظهر أمام ربه خائنًا ولا كذابًا ولا متلونًا ولو للحظة أو طرفة عين..!

لا يريد أن يكون ممن قال الله فيهم: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾..!

يخاف من الخيانة بل يكره هذا اللفظ لأنه يعلم أن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾

وأتت هذه الصفة على صيغة مبالغة، لأن الله لا يحب من كثرت خيانته وعظمت.. ولا يحب من زادت ذنوبه وتجاوزاته..

وكفى بهذه قاصمة لظهر العبد أن يعيش في دنياه وهم يعلم أن الله لايحبه لأنه كثير الخيانة..!!

هل يستطيع الإنسان أن يعبد الله تحت هذا الخوف فقط..؟

لا بل يستحيل؛ لأن الخوف حين يستولي على العبد يحبط ولا يصبح لديه بصيص أمل وسيقنط من رحمة ربه، ونحن بشر بين الحين والآخر نخطئ ونقع ونعصي.. فيأتي الرجاء وتأتي المحبة التي هي من ركائز العبودية مع الخوف؛ ذلك الله ﷻ له صفات جلال وجمال،وصفات الجلال توقع في قلب العبد الخوف والتعظيم والرهبة والوجل، وصفات الجمال توقع في قلب العبد الحب والرجاء وحسن الظن والتعلق بالله والبهجة والسرور واللذة والشوق.. فيسير العبد إلى ربه بحب وشوق، فتصبح العلاقة بين العبد وربه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ هذا الحب إن قام بين العبد وربه عاش النعيم كله.. والحياة كلها.. ولا يضره ماذا فقد من الدنيا لأنه فاز بأعظم مطلوب وهو حب ربه..!

وانظر لعظمة القرآن بعدما أن خوّف بالله: فلفظ الجلالة " الله" يثير الخوف والوجل، و"عالم الغيب والشهادة": تثير المراقبة واليقظة.. جاء بعدها:

* "الرحمن الرحيم": حتى لاييأس العبد ويظلُّ دائرًا بين الخوف والرجاء في معاملته مع ربه..

يقول ابن عباس ﷺ: اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر "أي أحدهما أكثر رحمة"..

<u>الرحمن:</u>

اسم يدل على رحمة الله الواسعة التي يدخل تحتها جميع الخلائق: الجن والإنس.. المؤمن والكافر.. البرّ والفاجر.. وما من مخلوق إلا ويتقلب في رحمة الله الواسعة..

- العاصي وهو مقيم على معصيته فإن الله يرحمه رغم قدرته عليه فتراه يتنفس ويتحرك..

- المطر هو صورة من صور رحمة الله إذا نزل لم يخص أحدًا إنما ينزل على البرّ والفاجر..

- الشمس تشرق على الجميع المؤمن والكافر..

كل هذا من صور رحمة الله تعالى الواسعة التي لا يقطعها عن خلقه في الدنيا، فيعطي الكافر رغم كفر.. والفاسق على فسقه.. والعاصي على معصيته.. وكل هذا عطاء ربوبية مبني على رحمة الله الواسعة: ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾

الرحيم:

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ رحمة خاصة واصلة مستمرة لا تنقطع عن عباده المؤمنين..

المؤمن في حياته مرحوم.. عند موته مرحوم.. وفي قبره.. وفي حشره.. وعلى الصراط.. وعند دخوله الجنة، قال رسول الله ﷺ: " لا يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله..! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته"[1].

رحمة مستمرة مع المؤمن في حياته أو بعد مماته، بل إن المؤمن مرحوم حتى في الأقدار التي يجريها عليه ربه، وإن كانت تلك الأقدار مؤلمة.. قاسية.. وشاقّة تبقى هذه الأقدار هي عين الرحمة لأن الله أرحم بعباده من أنفسهم ورحمة الله لا تنفكّ عن قدره؛ لذلك فكل قدر ينزل فيه رحمة وفيه لطف، وفي الحديث يقول النبي ﷺ: " إن الله جعل الرحمة في مائة جزء وأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا"[2].

كل الرحمة التي يتراحم بها الخلق فيما بينهم إنما هي جزء من مائة جزء وأمسك الله عنده تسعة وتسعين جزءًا يرحم بها عباده المؤمنين يوم القيامة.

الأثر المترتب للإيمان بهذين الاسمين:

١- إذا عرف العبد ربه باسمه " الرحمن الرحيم" جعله ذلك يؤمل في ربه كثيرًا وينظر إليه بعين الرجاء ويحسن الظن ويطمع في ربه..

* الحجاج بن يوسف كم قتل.. وكم عذب من المسلمين لكنه لما عاين الموت والكل حوله ينظرون ماذا سيفعل به الله..!

قال وهو يحتضر كلمة فيها ما فيها من قوة الرجاء وحسن الظن بالله كثيرًا: يا رب ارحمني فإنهم يظنون أنك لا تفعل..!!

تعلق برحمة الله.. دخل على ربه من أوسع الأبواب.. باب الرحمة..!

* كثير من الصالحين إذا حان وقت الاختضار قال لمن حوله: ذكروني برحمة الله..!

عرفوا رحمة الله.. أرادوا أن يدخلوا من بابها..

وكل من عرف رحمة الله تعلق بها ووثق بأن الله لن يخذله.. ولن يضيعه.. ولن يسلمه.. مهما فعل وعصى وشرد ثم عاد وتاب لن يطرده بل سيرحمه لأن الله كتب على نفسه الرحمة، وفي الحديث القدسيّ: " إن رحمتي سبقت غضبي"[3]، وفي رواية: " ورحمتي غلبت غضبي".

٢- يطلب العبد من ربه الرحمة ويكرر الطلب بذلّ وافتقار وانكسار..

[1]- رواه البخاري.
[2]- رواه البخاري.
[3]- رواه البخاري.

* أيوب عليه السلام عانى ثمانية عشر سنة من المرض.. فقد كل أمواله. وأبنائه.. لم يبقَ معه سوى زوجته..

عملت في البيوت حتى تطعمه.. بعد صبر طويل طلب من ربه بذلّ وافتقار وانكسار ربّ: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ طلب الرحمة.. فرحمه الله..

اطلب رحمة الله بفقر وذلّ وانكسار..

قل: يا من يملك خزائن الرحمة.. يا من وسعت رحمته كل شيء.. ارحم من لا شيء معه..!

قل: يا رب تغمّدني برحمتك - والغمد هو البيت الذي يدخل فيه السيف فيغطيه تمامًا - كذلك أنت؛ اسأل الله أن يتغمدك أي يغطيك برحمته.. ومن تغمده الله برحمته فلن تضيق عليه الدنيا.. وإن ضاقت؛ فإن الله يوسع له ويفسح له..

كل هذا من آثار رحمة الله بعبده لأنه طلبها من ربه وكرر الطلب بذلّ وانكسار والله ﷻ عند المنكسرة قلوبهم سرعان ما يستجيب لهم ويفرج عنهم..

٣- كل من آمن بهذين الاسمين ازدادت رحمته بمن حوله.. وبمن تحت يديه..

وكل من رحم الخلائق كان مؤهلًا لِأَن يرحمه الله تعالى، وفي الحديث: " الراحمون يرحمهم الرحمن"[١]، وفي حديث آخر: "إنما يرحم الله من عباده الرحماء"[٢]، أن تكون رحيمًا بمن حولك علامة كاشفة تبيّن مدى بركة العبد..

بقدر ما يُجري الله من نفع الناس على يدي العبد تُعرف بركته.. أينما تضعه لا يأتي إلا بخير.. ولا يكون منه إلا الخير.. ولا يقول إلا الخير..! نفع لا يأتي إلا من قلبٍ فاض بالرحمة..

* ليست رحمةً مع الخلق فقط؛ بل رحمة حتى مع البهائم، قال رسول الله ﷺ: " من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله يوم القيامة"[٣]، وفي حديث آخر قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: " جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعها إلى فِيهَا تمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها فشقّت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، تقول السيدة عائشة: فأعجبني شأنها فذكرت الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال: " إن الله قد أوجب لها بها الجنة أو أعتقها من النار"[٤].

[١]- رواه البخاري في الأدب المفرد.
[٢]- رواه البخاري.
[٣]- رواه البخاري.
[٤]- أخرجه مسلم.

* جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: " يا رسول الله إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها، فقال له: "والشاة إن رحمتها يرحمك الله"[1].

رحمة مع البهائم.. فكيف بالرحمة مع البشر..!!

إذا رحمت سيرحمك الله.. إذا رحمت ستجد لطف الله يحفّك أيما توجهت..

ستُفتح لك أبواب لم تخطر لك على بال لأن خزائن الله ملأى.. وكل هذا من آثار رحمة الله بعبده..

ثمرةٌ لا يعرفها إلا من ذاقها وجربها.. فإياك أن تحرم نفسك من رحمة الله فالنبي ﷺ يقول: " من لا يرحم لا يُرحم"[2].

المعاملة مع الله ربح.. فلا تغلق باب الرحمة على نفسك..!

٤- يتعلم العبد كيف يرحم نفسه:

* من أعظم ما يرحم العبد به نفسه أن يتعلم كيف يرجع إلى ربه ويتوب..

ابن القيّم رحمه الله إذا وجد في نفسه التفاتًا إلى غير الله تلا عليها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ ثم يكرر عليها: ارجعي ارجعي..!

ومعنى هذا: يا نفس لن تطمئنِّي وتسْعدِي.. لن يطيب لك عيش.. لن تُرحمي إلا إذا رجعتِ فارجعي إلى ربك..!

لا تطيلي الشرود والجفاء والبعد.. فإن عدتِّ رحمك الله..!

* مما يرحم العبد به نفسه أيضًا أن يكثر من الحسنات الماحية، قال ابن تيمية رحمه الله: " والكيّس من لا يزال يأتي بالحسنات ما يمحو به السيئات"..

لا تحصر نفسك في دائرة المعصية.. لا تضيّق على نفسك والله قد جعل لك مخرجًا وهو الحسنات الماحية، يقول الرسول ﷺ: " وأتبع الحسنة السيئة تمحُها"[3] والله يقول: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾..

عوّد نفسك على الخير..

* من رحمة العبد بنفسه أن يتلمس عيوبه ويعترف بها ويصلحها..

هذا حق نفسك عليك أن تصلحها.. ترتقي بها.. لا ترضى لها لانقص.. تسدّ ثغراتها.. تغيّرها لأن الله ﷻ مدح من فعل ذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾، وفي الحديث: " إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها"[1].

---

[1]- رواه البخاري.
[2]- متفق عليه.
[3]- رواه الترمذي وقال حديث حسن.

* من رحمتك بنفسك أن لا تعيش حياتك سهلًا؛ وإنما تصنع لنفسك هدفًا تصل إليه.. تنفع به نفسك وأمتك..

وأنت في طريقك لتحديد الهدف:

- ثق برحمة الله واعلم أن الرحمة لا يملكها إلا الله، فلا يستطيع أن يغلقها عليك أحد من البشر؛ لذلك لا تتردد ولا تُكثر من الالتفات لأن من كثُر التفاته ضعُف سيره، وقد قال السلف: " من فُتح له باب الرحمة فليلجه فإنك لا تعلم متى يغلق عليك".

- تدَرَّج لأن من سنة الله التدرج: خلق الله السموات والأرض في ستة أيام وهو قادر على أن يخلقها في طرفة عين؛ حتى تعلم أن الله لا يعجل لعجلة أحد من خلقه.. ولا يعطي الأرزاق والمنح دفعة واحدة وإنما يعطيها شيئًا فشيئًا..

وهذا من تربية الله لعباده.. فإذا كنت سائرًا مستعينًا بالله على الطريق ستصل..!

- تذكر وأنت في طريقك لا بد من كثرة السقطات.. لا بد من الفشل.. لك أقران سيحصل بينك وبينهم أثرة وظلم وأذية..

إياك من الهزيمة.ز إياك من الضعف.. إياك من الانسحاب.. لأن ذلك من الابتلاءات التي يجعلها الله في طريقك ليختبر ثباتك وصبرك.. وإذا أرادك الله لأمر هيأك له.. وهذه الابتلاءات من التهيئة..

والله إذا أراد بعبد خيرًا قلّبه في البلاء حتى يشتدّ عوده.. فاصبر واثبت وإياك من الانسحاب..!

- اصدق مع الله.. لأن مدار الأمر كله قائم على الصدق..

إذا صدق العبد مع ربه في أي أمر وُفّق له لأن الصدق يخدم صاحبه..

من كان صادقًا في طلب الصلاح أصلحه الله..

من كان صادقًا في طلب الهداية هداه الله..

من كان صادقًا في طلب العلم علمه الله..

وكلما صدقت رزقك الله وأعانك وسخر لك من حولك ومن يأخذ بيدك وفتح لك الأبواب..

- أصلِح ما بينك وبين الله يُصلح الله ما بينك وبين الخلق.. أي اهتم بعبادتك..

---

[1]- صححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

اللقاء الخامس

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾

اسم الله "الملك":

اسم الله الملك: اسم يدل على العظمة والمُلك..

والمَلك هو الذي حاز الشيء وتملكه ملكًا حقيقيًّا.

وملك الله ملك حقيقي لا ينازعه فيه أحد: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾

هو المالك لكل شيء.. المتصرف في كل شيء..له القدرة المطلقة على كل شيء..

مُلكٌ تصاحبه قدرة؛ لأنه لا يصحُّ أن يكون ملكًا إلا إذا كان قادرًا: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

وملك الله لا ينقص ولا يزول ولا ينتهي، بخلاف ملك المخلوقات الذي سينتهي ويزولُ حتمًا..

هذا هارون الرشيد كان يرى السحاب ويقول: "أمطري حيث شئت؛ فسيأتيني خراجك"..!

وفي هذا دلالة على سعة ملكه.. ولكن هل دام هذا المُلك..؟

في ساعة الاحتضار قال: "اللهم يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه"..

كل ملوك الدنيا يزول ملكهم...!!

وحتى نفهم ونعيش مع اسم الله الملك.. لنطلق قلوبنا وندعها تنساب وتنظر في ملكوت السموات والأرض..

وتتجاوزها سماءً بعد سماء... وما بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام..!

وكثافة كل سماء مسيرة خمسمائة عام..!

أما السماء السابعة فوقها بحر ما بين أسفله وأعلاه مسيرة خمسمائة عام و فوق ذلك العرش، و**"الله"** مستو على عرشه ﷻ..!

مَلِكٌ عَظيمٌ قَاهر.. مستوٍ على عرشه.. بائِن عن مخلوقاته.. له كرسيٌّ وله عرش..

و ماهو الكرسي..؟!!

(وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ)

الكرسي على الصحيح كما ثبتت بذلك الآثار وفسره الصحابه ﷺ أنه موضع قدمي الرب ﷻ..!

هذا الكرسي ما وصفه..؟!!

وسع السموات والأرض.. والسموات والأرض بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ألقيت في أرضٍ فلاة..!

ماذا تمثل هذه الحلقة في الصحراء الواسعة..!

لاشيء..!

أما العرش فهو سرير الملك..

والله مستو فوق عرشه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾

هذا العرش هو أعظم وأكبر مخلوقات الله.. هو سقف المخلوقات.. يحمله ثمانية من الملائكة: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾، أحد هؤلاء الملائكة كما وصفه رسول الله ﷺ: "قدماه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش ومابين شحمة أذنه وعاتقه مسيرة سبعمائة عام..!

هذا وصف ملك من الملائكة الذين يحملون العرش..!

ياترى ما هو حجم هذا العرش.. ما طوله.. وما عرضه..!!

والله ﷻ الملك مستو على عرشه.. يدبر أمور ملكه.. يصرف الأقدار.. يأمر بما يشاء.. وينهى عما يشاء.. كل شيء بيده:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾..

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾

لا يحصل شيء إلا بأمره.. ملِكٌ نازل.. وملِكٌ صاعد..!

يعز أقوامًا ويذل آخرين.. يشفي هذا.. ويمرض هذا.. يُعطي هذا.. ويمنع آخر.. ينزع ملكًا.. ويعطي ملكًا..!

ولا ينازعه في ملكه أحد...!

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾

ويظهر هذا المُلك واضحًا جليًّا يوم القيامة؛ جاء حبرٌ إلى ﷺ فقال: "يا محمد..! أو يا أبا القاسمِ..! إنَّ اللهَ تعالى يُمسِك السمواتِ يومَ القيامة على إِصبعٍ، والأرضِينَ على إصبعٍ، والجبالَ والشجرَ على إِصبعٍ، والماءَ والثَّرى على إِصبَعٍ، وسائرَ الخلقِ على إِصبَعٍ، ثم يهزُّهنَّ فيقول: أنا المِلِك، أنا المِلِكُ، فضحك رسولُ اللهِ ﷺ تعجُّبًا مما قال الحَبرُ تصديقًا له، ثم قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾"[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "يطوي الله ﷻ السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون"[2]...!

فهل يجيبه أحد من طغاة الأرض وفراعنتها..!

كلا؛ بل الجميع خاشعون صامتون: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾

أمام هذا المشهد المهيب.. المشهد العظيم المخيف.. مشهدٌ فيه من الجلال الشيء العظيم..

يتبادر لذهن الانسان ماذا سيفعل الظلمة والجبابرة في ذاك اليوم..!

يوم ينادي الله ﷻ لمن الملك اليوم..؟ فلا يجيبه أحد..!

فيجيب الله على نفسه: ﴿ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾

<u>الآثار التعبدية لاسم الله الملك:</u>

١- يغرس في قلب العبد التوحيد، ويزيد من تعظيم الله ويرسخه بقوة..

من الأسماء التي ترفع درجة التوكل واليقين وتزيد من قوة القلب: "والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف"، هذه القوة من أين أتت..؟

لأنه يعلم أنه يتعامل مع الملك، يعلم يقينًا أنه أمام ملك لا ينازعه في ملكه أحد..!

خزائن السموات كلها بيده.. خزائن الأرض كلها بيده.. كل شيء بيده وفي ملكه..!

الأقوياء بيده.. الضعفاء بيده.. الملوك بيده.. الرؤساء بيده..

الجن والسحرة والمشعوذين بيده.. الماكرين والظلمة والطغاة والقتلة بيده.. لا يستطيع أحدٌ أن يخرج عن ملكه..!

[1]- رواه مسلم.
[2]- رواه مسلم.

وأول ما يثيره اسم الملك في القلب: إياك أن تخاف من مخلوق أكثر من خوفك من الله ﷻ..!

هذه المعرفة تجعل الإنسان يصحح من نظرته للخلق.. فيتحرر من كل خوف و أسرٍ و ذل للخلق..

مهما بلغوا.. ومهما ملكوا من دنيا ومناصب وسلطة ونفوذ فالله أملك لما يملكونه من ملكهم..!

وأمر الله أسرع إلى ما يملكونه من أمرهم..!

حتى لومكروا ودبروا وخططوا هم في قبضة الملك..!

الله هو الملك وهم عَبيدٌ للملك..!

وهكذا يمتلئ القلب توحيدًا وذلًّا وخضوعًا لله.. وتسقط كل البشر من حساباتك..

وتركن إلى الملك الذي يملك نواصي الخلق..

رسالة لكل من ظُلم في هذه الدنيا، والمظلومون كثر..

لا تأخذ حقك الآن.. ستُنصف غدًا، إذا وقفت بين يدي الملك..!

الكل سيموت.. الظالم سيموت.. والمظلوم سيموت.. والموعد الله..!

اعملوا ما شئتم فإنا صابرون.. وجوروا فإنا مستجيرون..

واظلموا فإنا إلى الله متظلمون.. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون..!

٢- تصورك لهذا الملك العظيم: الكرسي.. العرش.. الملائكة.. حملة العرش.. تدبير الأمور وتصريف الأقدار..!

يجعلك تثق وتتيقن أن الذي دبر أمر كل هذا الخلق قادر أن يدبر أمرك..!

لا يُعجزه أن يصلح ابنك.. أو يقضي دينك.. أو يشفي مريضك.. أو يرد عليك غائبك الذي فقدت.. أو يرد كيد من كاد لك..!

من عرف ملك الله.. وعرف قدرة الله المصاحبة لملكه أيقن تمامًا أنه لا مستحيل..!

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

لو أراد الملك لشيء أن يتغير سيتغير.. ولو أراد لشيء أن ينصلح سينصلح.. خاصة فيما يتعلق بأمور القلوب والحب والبغض والكره والإقبال والإدبار لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، قلوبنا وقلوب من أمامنا ليست ملكًا لنا، بل هي ملك لله..!

اسم الملك من الأسماء القوية جدًا والمؤثرة جدًا.. من الأسماء التي تغير حياة الإنسان كثيرًا..

٣- لو أن ملكًا من ملوك الدنيا رآك مقبلًا عليه، قد تركت كل ملوك الدنيا وقصدته هو سيستحي أن يردك.. سيستحي أن لا يُعطيك من مروؤته وحشمته وكرمه.. والملوك لهم صفات سيادة وأهمها الكرم..

لن يردك وهو من ملوك الدنيا..!

فكيف بالملك ﷻ.. ملك السموات والأرض سبحانه وبحمده..؟!

عبد يطرق بابه.. يطلب فضله.. يحط رحاله عند بابه.. ثم يتذلل ويتعلق وينطرح..

يا دائم المعروف.. يا قديم الإحسان.. كيف سيرُدُّ هذا العبد..؟!

وكيف ستكون عطية الملك له..؟؟

يقولون: **"عطايا الملوك تأتي مضمّخة بِطِيبهم ويعطون بقدْرهم لا بقدر من سألهم"..!**

وحتى نستشعر هذا المعنى ونحن نطلب من الملك الذي خزائنه لاتنفد، يقول الله تعالى في الحديث القدسي: "يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجرِ قلب واحد منكم ما نقص من ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر..."[١]

فادعُ واطلب بهمة عالية، كما فعل سليمان عليه السلام: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي﴾

وكما علمنا رسولنا الكريم ﷺ: "إذا سألتم الله الجنة، فاسألوه الفردوس"[٢]

[١]- رواه مسلم.
[٢]- رواه البخاري.

اسم الله "القدوس":

اسم من أسماء الله الحسنى ورد في الكتاب والسنة..

له علاقة وثيقة باسم الله الملك؛ ولم يرد إلا بعده..

<u>في القرآن :</u>

ورد في سورتي الحشر والجمعة:

في سورة الحشر قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

وفي سورة الجمعة قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾

<u>وفي السنة :</u>

كان النبي ﷺ إذا انتهى من وتره قال: "سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس"

المعنى اللغوي لاسم الله "القدوس":

قَدَسَ: في لغة العرب تدور بين معنين :

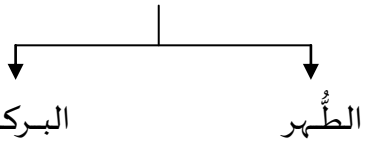

<u>المعنى الأول "الطُّهر":</u>

العرب يسمون السفينة في عرض البحر "القادس"

لأن المياه والأمواج تلطمها، وتتتابع عليها فتطَهّرها، ثم تأتي موجة أخرى فتطهرها وهكذا..

بمعنى طُهر بعد طُهر فلا يمكن أن يعلق بها شيء من الدنس..

وقد قالت الملائكة لله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

نقدس لك بمعنى: نتطهر لك

نطهر أنفسنا حتى نليق بقربك وجوارك.. ولن يجاور الله في جنته إلا من كان أهلًا لهذا الجوار..

المعنى الثاني "البركة":

قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾

المقدسة بمعنى: الأرض المباركة

القدوس: هو منتهى التنزه والطهر عن كل عيب وعن كل نقص.. له كمال الطهر.. وكمال البركة..

فهو البالغ للكمال الأكمل في كل شيء..

الآثار التعبدية لهذا لاسم الله "القدوس":

١- أنت تحتاج لأن تتطهر وتتقدس وتترقى حتى تصلح لمجاورة الله ﷻ كما قالت الملائكة:

(ونقدس لك): أي نطهر أنفسنا لك حتى نليق بجوارك..

ابحث عن كل ما يطهرك.. ابحث عن المكفرات:

- الوضوء يطهرك.. كلما حافظت على الوضوء طهرك، قال رسول الله ﷺ: "من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره"[١].

- الصلاة تطهرك وكلما أكثرت زاد طهرك، ورد أنّ النَّبيَّ ﷺ كان يقول: "إن كُلَّ صلاةٍ تَحُطُّ ما بيْنَ يدَيْهَا مِنْ خَطِيئَةٍ"[٢]؛ وقال ﷺ: "أرَأَيْتَ لَوْ كَانَ بِفِنَاءِ أَحَدِكُمْ نَهَرٌ يَجْرِي يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، مَا كَانَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ؟ قَالُوا: لَا شَيْءَ، قَالَ: "إِنَّ الصَّلَوَاتِ تُذْهِبُ الذُّنُوبَ كَمَا يُذْهِبُ الْمَاءُ الدَّرَنَ"[٣].

- الصدقة تطهرك؛ كقصة ذلك الرجل الذي جامع زوجته في نهار رمضان، فدخل على النبي وقال: يارسول الله هلكت، رد عليه النبي ﷺ:" تصدق"[٤] قبل أن يعرف ما الذنب الذي ارتكبه..!
أخذ أهل العلم من هذا: أنه مهما كان ذنبك وجرمك، فالصدقة تطفئ غضب الرب.. تطفئ الخطيئة وهي من أعظم المطهرات والحسنات الماحية.. وكلما زادت الصدقة زاد الطهر..!

- العمرة تطهرك: "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما"[٥].

---

[١]- رواه مسلم.
[٢]- صححه الألباني وقال حديث حسن صحيح.
[٣]- رواه الألباني في السلسلة الصحيحة.
[٤]- رواه البخاري.
[٥]- رواه البخاري.

- البر يكفر الكبائر.
- الحج يهدم ما كان قبله.
- التوبة تطهرك بل تغسلك غسلًا..

و الخلاصة:

من أراد أن يتعبد الله باسمه القدوس، فليبحث عن طهر بعد طهر حتى يليق بمجاورة القدوس ﷻ.

اسم الله "السلام":

ورد مرة واحدة في القرآن في سورة الحشر..

السلام لفظٌ عذبٌ جميل.. يدل على السلام والاطمئنان والسلامة..

فالله ﷻ هو السلام.. وهو واهب السلام.. وهو الذي يمنح عباده السلام في الدنيا والآخرة..

قال العلماء أن هذا الاسم في حق الله ﷻ يدور حول ثلاث معانٍ:

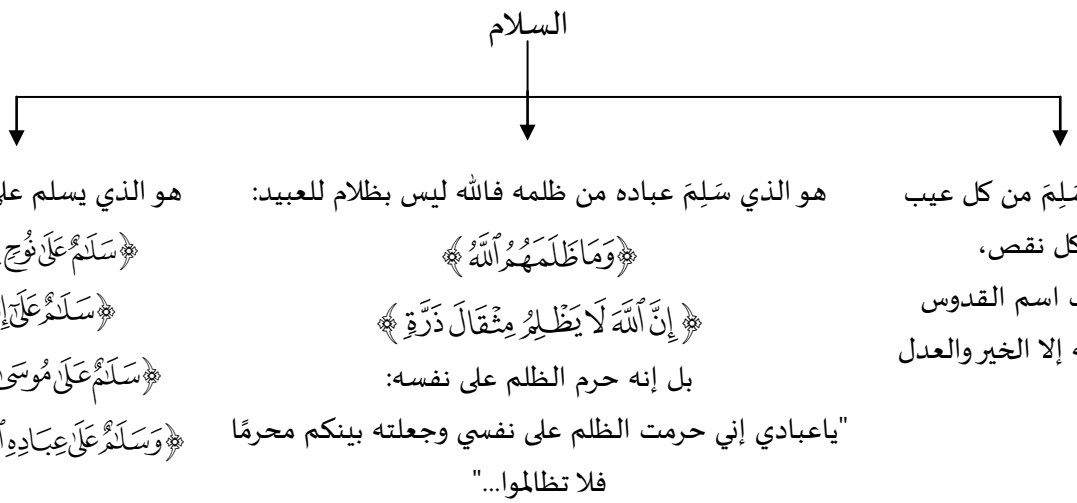

وقد أخبرنا الله ﷻ أن الملائكة حين تقبض أرواح المؤمنين تسلم عليهم، وهذا السلام بمثابة البشارة لهم والطمأنينة لهم لحظة قبض الروح: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ﴾، كذلك تسلّم عليهم الملائكة إذا دخلوا الجنة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾

وقال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾

أيضًا..

هناك سلام ينتظره المؤمنون و يشتاقون له.. يحنّون إلى سماعه.. يخافون أن يحرموا منه..

ألا وهو سلام الله ﷻ على أهل الجنة: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾

هذا يوم أن يستزيرهم ربهم.. تقرب لهم الركائب والنجائب.. ثم ينقلون إلى وادٍ أفيح واسع فسيح.. كثبانه المسك..

فإذا وصلوا يناديهم ربهم: عبادي هل رضيتم..؟

فيقولون: وما لنا لا نرضى يارب..؟

فيقول لهم: هل لكم من حاجة..؟ فيقولون: نريد أن نرى وجهك يا رب..!

فإذا كشف الله لهم عن وجهه نسي أهل الجنة ماكانوا فيه من النعيم..!

هذا المشهد.. وهذه اللحظة..

يوم أن يسلم الله على عباده ثم يكشف عن وجهه.. يجعلنا نجتهد ونبذل ونصبر ونصابر حتى نصل..!

الثمنُ غالٍ جدًّا.. **ومن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل..!**

بل إن هذا الشرف.. وهذا الرزق.. وهو سلام الله على عباده.. قد يرزقه العبد وهو ما زال يمشي على الأرض..!

* رُزقت به أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وهي امرأة ادخرها الله لنبيه..!

يوم أن نزل جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وقال له: يا محمد أخبر خديجة وقل لها: "إن ربك يقرؤك السلام"

فقالت: إن الله هو السلام ومنه السلام ، وعلى جبريل وعليك السلام يا رسول الله..

أي رزقٍ رُزقت به..!

ولو لم تكن خديجة أهل لهذا الرزق لم ترزق..!

لأن **"التوفيق على قدر القربى"** وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده..

الآثار التعبدية لاسم الله "السلام":

هذا الاسم بالذات نستطيع أن ننزل عليه قاعدة ابن القيم: "من تعلق بصفة من صفات الله أدخلته هذه الصفة على ربه"، كيف..؟

١- إذا عرف العبد أن السلام هو الذي سَلِم من كل عيب ونقص وسوء، أصبح حريصًا على سلامة قلبه من الشرك، البدع، الشبهات، الشهوات، الأضغان، ومن هذه اللوثات والأمراض الكثيرة لأنه من أكبر المصائب أن تعيش في هذه الدنيا بقلب خرب..!

ما علاقة القلب باسم الله السلام؟

القاعدة تقول : **"لن تنال شيئا في الظاهر حتى تربي عليه نفسك في الباطن"**

من أراد أن يتخلق ويصبح له حظ ونصيب من اسم الله السلام يجب أن يعيش بداخله وباطنه هذا السلام..

سلامة قلبٍ وصدر.. سلام من كل اللوثات..!

٢- إذا علم العبد أن من معاني هذا الاسم أن الله يسلم على عباده، فإنه يتعبد لله بكثرة إفشاء السلام، قال ﷺ: "أوَلا أدلُّكُم علَى شيءٍ إذا فعلتُموهُ تحابَبتُم..؟ أفشُوا السَّلامَ بينَكُم"[١]؛ فالسلام عبادة.

٣- إذا علم العبد أن الله هو الذي سَلِم عباده من ظلمه، جعله حريصًا أن يسْلم من حوله من أذيته ويسلم من ظلمه، ويسلم من لسانه، قال رسول الله ﷺ: **"المسلمُ من سلِم المسلمون من لسانِه ويدِه"**[٢].

- كم هي نعمة الله على العبد يوم أن يسلّمه من النميمة، لأن شر الناس المشاءون بين الناس بالنميمة..!

ومن كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار في الآخرة..!

- كم هي نعمة الله على العبد حين يعيش والناس يؤمنونه على أعراضهم ولسانهم وأموالهم وعلى كل شيء.. هذا من أكبر نعم الله..

٤- كن مصدر سلام.. و خير على من حولك..

لاتكن ممن لو خاصم فجر...! ومن أرعد وأزبد وانتقم حين ينتقده أو يعاتبه أحد..!

قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمن كمثل العطار إن جالسته نفعك، وإن ماشيته نفعك، وإن شاركته نفعك"[٣]

العطار: هو الذي يبيع الطيب والعطور، فإن اشتريت منه انتفعت، وإن جلست معه انتعشت وإن خرجت خرجت مرتاحًا مطيبًا؛ كذلك المؤمن وهذه علامة إيمان تشعر براحة وسلام وهدوء..

---

[١]- رواه مسلم.
[٢]- رواه البخاري.
[٣]- حديث ضعيف معناه صحيح نورده للاستئناس.

يصف رسول ﷺ بلالً ﷺ فيقول: "مَثَلُ بلالٍ كمَثَلِ نحلةٍ غدَتْ تأكُلُ مِن الحُلْوِ والمُرِّ ثمَّ هو حُلْوٌ كلُّه"[1].

لماذا النحلة..؟

لأنها لا تؤذي.. لا تُفسد.. لا تعتدي.. تعمل بصمت.. ويخرج منها العسل..

وهكذا المؤمن لايخرج منه إلا الأطيب والأنقى والأصلح..

اسم الله "المؤمن ":

ورد اسم الله "المؤمن" في القرآن مرة واحدة، وهو يدور حول معنيين:

المصدق رسله:

بخلق المعجزات لهم وتأييدهم بها..

موسى أعطاه الله تسع آيات.. نبينا ﷺ أيده الله بأكثر المعجزات: انشقاق القمر، تسبيح الطعام، القرآن؛ كذلك بقية الأنبياء، وما من نبي إلا أيده الله بآية..

الذي يؤمن عباده:

هو الأكثر معرفة وتداولًا.. الله يؤمن عباده في الدنيا ويؤمنهم في البرزخ ويؤمنهم في يوم القيامة.

<u>كيف يؤمن الله عباده..؟</u>

١- يؤمنهم في الدنيا: وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾

الأمن النفسي.. الأمن القلبي.. الأمن من أذية البشر.. الأمن من كل أذية..

بقدر التوحيد.. بقدر الإيمان.. يكون هذا الأمن..

كلما كمُل التوحيد وكمل الإيمان زاد تأمين الله للعبد.. وأفاض على قلبك من هذا الأمن.. ويكفينا في هذا مشهد الرسول ﷺ في الغار: ﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾

لذلك الكفار لا يشعرون بالأمن التام حتى وإن تهيأت لهم أسباب الأمن المادية لكن نفوسهم ليست مطمئنة ولا آمنة لأنهم فقدوا الأمن النفسي والقلبي..

[1]- رواه الهيثمي وإسناده حسن.

٢- إذا أُودع الميت في قبره وسأله الملكان من ربك..؟ ما دينك..؟ من نبيك..؟

هناك من يثبته الله.. ويجري الجواب على لسانه.. وهذا نوع من الأمن: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾

وهناك من يقول: هاه.. هاه.. لا أدري...!

٣- يوم القيامة: إذا دخل المؤمنون الجنة، يذهب الخوف ينتهي، يؤمنهم الله من الفزع والخوف:

﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾

إذا دخل المؤمنون الجنة.. يذهب الخوف وينتهي.. يؤمنهم الله..

لا خوف من مرض.. من موت.. من نار.. من ديون: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

وقال تعالى: ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾

و أكثر ما يستجلب به العبد أمن الله:

١- التوحيد: كلما اهتممت بتوحيدك زاد أمن الله لك، فلا تستغيث إلا بالله، لا تذبح إلا لله، لا تتوكل إلا على الله، الصبر على أقدار الله والرضا بها.

٢- كثرة خوف الإنسان من الله في الدنيا، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ قال: "وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة"[١]

الرسول ﷺ إذا رأى سحابة في السماء كان يخاف..!

يتغيّر وجهه.. يقبل ويدبر.. يدخل ويخرج.. حتى تمطر فيُسرَّى عنه..

فسألته السيدة عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا واستبشروا وأنت إذا رأيت الغيم تغيرت حالك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "ما يؤمني أن يكون فيه عذاب، عُذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا"[٢]

[١]- أخرجه ابن حبان في صحيحه والبيهقي في شعبه.
[٢]- رواه البخاري.

بل كان أكثر دعائه ﷺ: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"[1].

وهذا الدعاء لو تأملته ستجده دعاء عبدٍ خائف..

وقد سأل الصحابة رسول الله ﷺ: أتخاف علينا؟ قال: "إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء"

والعبد لا يأمن أن يقلب الله عليه قلبه في طرفة عين..!

وقد قصَّ الله ﷻ علينا قصة ذلك الرجل من بني إسرائيل: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾

عالم أُوتي العلم.. ثم ماذا..؟ انسلخ..!

لم يقل الله زاغ أو ضل بل انسلخ...!

كما تنسلخ الحية من جلدها.. تنفصل تماما ويسقط جلدها عن لحمها..!

هذا رجل آتاه الله علمًا.. لكنه انسلخ فأدركه الشيطان.. تسلط عليه.. فكان من الغاوين..

وبما أن الله حكى خبر هذا الرجل من بني إسرائيل؛ فهذا قد يحصل في أمة محمد ﷺ، قال رسول الله ﷺ: "لو وُجد في بني إسرائيل من ينكح أمه علانية لوجد في أمتي من يفعله" لأننا ابتُلينا بـ: "لتتَّبعن سنن من كان قبلكم..."

وأمام هذه الثغرات والتقلبات لا بد أن يعيش العبد على حذر، لا يغتر بكلام ومدح الناس له؛ لأنه لا يعلم إذا كان الله قبله أم لا..! وآفات العمل كثيرة..

لذلك كل من عاش في هذه الدنيا خائفًا على نفسه.. خائفًا من ذنوبه.. من الفتن.. فهو جدير بأن يؤمنه الله يوم القيامة

* كلما خاف العبد دعا الله باسمه المؤمن أن يؤمنه ويؤمن خوفه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾

* كلما وجد العبد نفسه آمنًا في بيته مع أهله.. عنده قوت يومه.. ينام ملء عينيه.. فليحمد الله المؤمن لأن غيره ينام على خوف ويصحو على فزع لا يدري أيصبح عليه الصباح أم لا...!

إذا استشعر العبد هذه النعمة زاد شكرًا حتى لا تسلب منه النعم، وقد كانت هذه أول دعوة دعا بها إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا﴾

[1]- رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع.

اسم الله " المهيمن":

ورد اسم الله المهيمن في القرآن مرة واحدة، وأكثر أهل السلف كانوا يفسرون اسم الله المهيمن بأنه الرقيب، أي: الشاهد على عباده بأعمالهم.

وهناك معنى آخر: وهو المتمكن.. المسيطر على الأشياء سيطرة كاملة تامة..

وقد تحدى الله سبحانه وبحمده البشر بالسيطرة الكاملة: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾

الله وحده له السيطرة الكاملة على الكون وعلى مجريات الكون: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

لو اقتربت الشمس من الأرض قليلًا لاحترقنا.. ولو ابتعدت قليلًا لتجمدنا..!

من الذي وزن الكواكب والنجوم والشمس والقمر..!

الله المهيمن..

هذه سيطرته على الكون فكيف على البشر..!

تقرأ حزن الرسول ﷺ في سورة الغاشية حين دعا قومه ولم يستجيبوا له: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾

يا محمد..! أنت لا تملك قلوبهم.. ولا تستطيع السيطرة عليها..!

الله وحده هو الذي يهيمن ويسيطر على كل شيء..

الآثار التعبدية لاسم الله "المهيمن":

١- إذا رأى العبد أن قلبه قد مال أو زاغ أو انحرف فليدعُ الله باسمه المهيمن: يا مهيمن أعنِّي على قلبي..!

وأكثر من يحتاج هذا الدعاء من ابتلي بالعشق المحرم المذموم..

٢- من استشعر هيمنة الله وسيطرته على القلوب كان حريصًا أن لا يصبح ولا يمسي إلا بنية صالحة، فالله في قلبه أجلُّ من أن يُبيِّت أن يعصيه..! فلا يُبيِّت إلا خيرًا.

٣- إذا اعترض على العبد أمران؛ إما أن يقدم الله أو يقدم شهوته فاستحضر هيمنة الله سيقدم الله، لأنه أجلُّ في قلبه من أن يقدم غيره **"ومن قدم الله قدمه الله"**

٤- من استحضر هيمنة الله وسيطرته على الكون وأصبح هذا علمٌ ويقينٌ وتوحيد، لا يذِلّ لأحد كائنًا من كان؛ بل يدعو: يامهيمن سخرهم لي..

نسأل الله أن يزيدنا توحيدًا بأسمائه وصفاته...

اللقاء السادس...

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

اسم الله "العزيز":

اسمٌ يعالج كل من يعاني هزيمة نفسية..!

اسمٌ ينقلب به العبد إلى حياة جديدة.. إلى قلبٍ جديد.. وتفكير جديد..!

عندما ترى تكالب أعداء المسلمين وتآمرهم.. عندما يصبح أرخص دم هو دم المسلم.. وأرخص عِرضٍ هو عرضُ المسلم..

عندما ترى المسلمين كيف بدؤوا ينسلخون من دينهم انسلاخًا.. وأصبح كلُّ همهم الغرب واتباع الغرب والذوبان فيهم حتى تآكلت عقيدة الولاء والبراء وأصبح المسلم وهو مسلمٌ حيران متخبط لا يعلم من يوالي..؟ ومن يعادي..؟

في هذا الوقت يأتي اسم الله " العزيز" ليعالج هذا القلب الذي دب إليه الضعف والوهن واليأس وعدم الثقة.. ليُعالج هذا القلب الذي انسلخ من عزته..!

وكأنه يقول : يا مؤمن.. اعلم أن ربك عزيز وأن العزة لا تُستمد إلا منه ﷻ.

فربك الذي خلقك وخلق جميع البشر يقول لك: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

* ورد اسم الله "العزيز" في القرآن كثيرًا؛ ما يقارب من اثنين وتسعين مرة.. له اقترانات كثيرة:

- العزيز الحكيم..
- العزيز العليم..
- العزيز الرحيم..

وهذه الاقترانات ماهي إلا كمالٌ فوق كمال.. وحسنٌ فوق حسن.. فهي تُعطي معنى جديدًا لهذا الاسم..

"العزيز":

مأخوذ من العزة، وهي الغلبة والمنعة والرفعة والقوة، يقال: رجل عزيز أي: لا يغلب ولا يقهر.

أيضًا يقال: غلبني فلان على الأمر، أو عزني فلان على الأمر بمعنى غلبني.

أيضًا يقال: عزَّ الشيء بمعنى: أصبح وجوده نادرًا ، لا يكاد أن يكون موجودًا..

وفي سورة يس في قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾أي: قويناهم بثالث.. وشددنا أسرهم بنبي ثالث ورسول ثالث.

هذه المعاني اللغوية لو جمعتها ستوصلك لمعنى اسم العزيز في حق الله ﷻ..!

يقول ابن السعدي رحمه الله: "هو الذي له العزة كلها، عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع".

عزة القوة:

لا يجرؤ ولا يستطيع أحدٌ أن يقف أمام قوة الله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾..

قوم هود كانوا أقوياء جدًّا.. أقوياء في أجسامهم.. في جبروتهم.. في بطشهم حتى أنهم كانوا يفتخرون بهذه القوة ويقولون من أشد منّا قوة..!

والله ﷻ عندما وصفهم قال: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ أي: إذا حصل بينكم وبين الناس حرب أو قتال أو نزال بطشتم - بهم والبطش لا يكون من الضعيف أبدًا- البطش لا يأتي إلا من قوي..!

وحتى تتصور قوتهم وضخامتهم فقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: "أن أهل الجنة يدخلون الجنة على طول أبيهم آدم ستون ذراعًا..."

ستون ذراعًا تعادل خمسون مترًا تقريبًا..!

يدخل المؤمنون الجنة بطول أبيهم آدم عليه السلام.. وهو طول الأقوام السابقة..!

قوم عاد أكثر من هذا طولًا لأن الله ﷻ وصفهم في كتابه بأنه آتاهم بسطة في الجسم..

لك أن تتخيل..!!

قومٌ بهذه القوة.. بهذا الجبروت.. وهذه البسطة.. وهذه الأجسام خرجوا عن بكرة أبيهم من أجل أن يقضوا على نبي الله هود عليه السلام وكان وحده فقط ليس معه أحد..!!

وقف أمامهم متحدّيًا..!

تحدّاهم بتحدّ صريح قوي فيه صفة المستعيذ بقوة الله، فقال: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾..!

اجتمعوا كلكم.. من أولكم إلى آخركم.. من كل جهة.. ذكركم وأنثاكم.. وصغيركم وكبيركم.. ولا تمهلوني دقيقة..!!

و لو كنتم تستطيعون القضاء فاقضوا عليّ..!

تقوّى بمن..؟ ومن أتت له هذه القوة..؟

كان قويًّا بالله.. قلبه ثابتٌ كالصخر لأنه علم أن كل شيء أمام عزة الله وقوته ضعيف صغير..!

تقَوَّى بربه فقوَّاه وآزره ونصره..

أيضًا لوط عليه السلام؛ خرج عليه رجال قريته كلهم.. والجميع يعلم ماذا يريد رجال قرية قوم لوط من أضياف لوط عليه السلام حتى أنه سمى ذلك اليوم أو وصفه بأنه يوم عصيب..!

لكنه تقوَّى بربه.. ركن إلى ربه فجاءته الإجابة فورية من العزيز ﷻ: ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾

لأن الله هو العزيز القويّ سبحانه وبحمده.. لا يتقاواه متقوٍ و لا يقاومه مقاوم.. القوة كلها لله..!!

عزة المنعة:

هو الذي لا يُنال ولا يُوصل إليه سبحانه وبحمده.. لا يستطيع كائنًا من كان من البشر أن يضره أو ينفعه أو يُدخل عليه مكروهًا أو يُدخل عليه شيء أبدًا..

الحي القيوم العزيز الممتنع لا يُقيمه أحد.. لا يُمدّه أحد.. ولا يحتاج إلى أحد سبحانه وبحمده..

عزة الغلبة والقهر:
هو الذي لا يغلبه أحد.. وهذا النوع من أنواع العزة فيه معنى التحدي..
يتحدى الله كل المتآمرين.. كل المخططين.. كل الكائدين والظلمة والجبابرة والمتكبرين..!
دبر ما شئت.. افعل ما شئت.. هيئ لنفسك ما تريد من الظروف.. ابذل ما تريد من الأسباب..!
فلن يكون إلا ما أراده الله.. لن تغلبَ مراد الله؛ لأن الله يقول: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾

- إخوة يوسف يكيدون له.. يخططون لقتله.. يعادونه..
والله العزيز ﷻ يأبى إلا أن يُمكِّن ليوسف في الأرض.. يُمكِّنه وينقله إلى مصر ليصبح عزيزًا؛ بل جعل الله التدبير الذي دبره إخوته هو السبب الذي أوصله إلى العزة والرفعة.. وهذا من كمال عزة وغلبته وقهره ﷻ..
أن يجعل الطريق الذي أُغلق عليك.. والأشخاص الذين عارضوك و دبروا وكادوا ومكروا لك في الخفاء..
هو الطريق الذي يعيدك.. يوصلك إلى مرادك ومقصودك.. يوصلك إلى العزة و الرفعة ويأتيك الرزق من نفس الطريق..!
لأن الله ﷻ عزيز لا يُغالب.. لا يتحداه أحد.. لا يُمانع ولا يُخالف ولا يستعصي عليه شيء..

عزة القدر:
الله ﷻ عزيز لا يعادله شيء.. لا مثيل له.. لا ند له.. لا نظير له.. ولا شبيه له: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾..

هذه هي أنواع العزة الأربع.. هذه هي أركان العزة..
والله ﷻ بلغ منتهى العزة في هذه المعاني و هذه الاعتبارات..

الآثار التعبدية لاسم الله " العزيز ":

١- إذا عرف العبد أن الله له العزة الكاملة فلا يطلبها إلا من الله ولا يستمدها إلا من الله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ ومن طلب العزة من غير الله أذله الله.. وأهانه ووكله إلى من طلبها من عنده..!

- يُقال أنّ شاعرًا كان يدخل على المعز الفاطمي الذي حكم الدولة الفاطمية.. يمتدح الحاكم بمدح مبتذل حتى يتقرب ويتذلل ويتودد له.. وصل في مدحه أنه كان يقول:

شئت لا ما شاءت الأقدار احكم فأنت الواحد القهار

الحاكم أعجبه هذا المدح والثناء فكان يأخذ معه هذا الشاعر ليرافقه ويسافر معه ويصاحبه في كل وقته..
في أحد الأسفار أصيب الشاعر بوجع في رأسه.. أخذ يصرخ ويئنّ ويرفع صوته..
تأذى المعز الفاطمي من هذا الصوت.. ومن هذا الصراخ.. فماذا فعل..؟!!

تركه وحيدًا على شاطئ البحر.. بلا رفيق.. بلا أنيس.. بلا زاد.. بلا شيء.. وأخذ ركبه ومضى وتركه..!!
بعد ذلك.. وجدوه ميّتًا منتنًا حقيرًا مُهانًا..!!
يقول ابن كثير: في أثناء صراخه كان يقول للمعز:
أنت الواحد القهار، أنت الواحد القهار..!

طلب العزة من مخلوق.. طلبها من بشر.. فوكله الله إليه.. أذله وأهانه..
سلطه الله عليه فأتاه الخذلان من نفس الشخص الذي كان يطلب منه العزة..!
والقاعدة تقول: "**من ترك العزيز أذله الله**" وفي المقابل: "**من ذل للعزيز عز** "..

- النبي ﷺ عندما خرج إلى بدر غزوة بدر.. خرج ليس له عدة ولا عتاد يواجه به قريشًا.. يواجه به ألف مقاتل..!
خرج مستعزًّا بربه.. طيلة ليلة الغزوة كان يناجي ربه:
يا رب وعدك الذي وعدتني.. يا رب نصرك الذي وعدتني.. يا رب إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض..
يا رب.. يا رب.. يا رب.. يا رب..!
طلب العزة من ربه فقوَّاه ربُّه.. شدّ من أزره.. فنصره وأعزه..

- مكة لم تفتح بالسلاح.. ولم تفتح بالدماء.. ولا بالمدرعات ولا بالقتال..!
إنما كان فتح مكة فتحًا بعزة الله فقط..!
دخل إليها النبي ﷺ بعد أن طُرد منها..
يدخلها والمؤيد والناصر له هو الله.. المعز له هو الله والله لا يغلب أبدًا..!

- في غزوة الأحزاب أرسل الله ريحًا عزيزة بعزّة من أرسلها ﷻ..
هذه الريح فقط تسلطت على معسكر المشركين.. أطفأت نيرانهم.. كفأت قدورهم.. ذرت الرمال.. ضربت الصخور ببعضها .. فزعوا.. تشتتوا.. تفرقوا.. ورجعوا من حيث أتوا وكفى الله المؤمنين القتال بعزته وقوته وغلبته..!
الله إذا أراد إعزاز قوم أعزهم بما أراد و سخر لهم من الجنود ما يريد: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾..!

العزُّ كلّ العزِّ أن تعيش في كنف العزيز.. أن تطلب العزة منه.. تستمدها منه لا من غيره..

٢- أن يعيش المؤمن العزة معنىً في حياته وفي سلوكه.. وتكون منهجًا يسير عليه..

- عمر ﷺ أمير المؤمنين كانت الدنيا كلها في قبضته..
الأموال ..الخزائن ..الذهب ..الفضة ..الخراج .. الأمر والنهي..
لكنه حينما أتى بلاد الشام يريد أن يفتح بيت المقدس وتسلم له مفاتيحها أتاها بثياب مرقعة..!
فيقال له: لو لبست ثيابًا أخرى يا أمير المؤمنين..؟
غضب عمر ﷺ وقال: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام وإن ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله"..!
العزة لن تأتينا بشكل ولا لباس ولا مظاهر...!
إنما تأتي العزة من ديننا.. من عقيدتنا.. من توحيدنا.. من إسلامنا..
فإن تركناه وبحثنا عن العزة في غير طريق الإسلام سلبها الله منّا..!

- يدخل ربعيّ بن عامر ﷺ على رستم ملك الفرس.. وقد كانت الفرس في ذلك الوقت أقوى امبراطورية..
وربعيٌّ ﷺ كان بسيطًا.. لم يكن قائدًا من قادات المسلمين كعمر بن الخطاب وعثمان وعلي ﷺ..!
دخل على رستم بهيئته المتواضعة.. بلباسه المتواضع.. يربط سيفه على بطنه.. يحمل رماحه على ظهره.. ويتكئ على رمحه..
رجال رستم ووزراؤه عن اليمين والشمال.. الوسائد عن اليمين والشمال.. البُسط ممتدة..

دخل بهذه الهيئة الضعيفة البسيطة قويًّا مستعزًّ بربه.. دخل متكئًا على رمحه..
رمحه يمزق البسط والوسائد.. يقف أمام رستم ويقول له: "جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، نخرجهم من جور الأديان إلى دين الإسلام، جئنا نخرجهم من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة إن قبلتم منا قبلناكم وإلا الجزية والقتال"..!!
محتصر كلامه : أمامك ثلاثة أيام بعدها لن يكون إلا القتال..!
رجلٌ لا شيء معه لكنه كان عزيزا بالله..!

- امرأة أُسِرت فصرخت: وامعتصماه..!
المعتصم بيده كوب من الماء.. وصله النداء.. وصله الخبر.. وضع الكوب وقال لخادمه: غطّه حتى أرجع..!
كأنه يذهب لمكان قريب ويعود..!
خرج وحرّك جيشًا كاملًا بسلاحه.. برجاله.. بعتاده.. بقيادته هو..!
وربما يأخذ منه شهورًا حتى يصل.. و يحرر.. وينتصر.. لكنها عزة المؤمن عندما تجري في الروح..!
خرج من أجل أن يجيب صرخة امرأة..!
حرر المدينة.. ويأبى إلا أن يفتح أسرها بنفسه.. يفتح باب سجنها.. ويقول لها مجيبًا على ندائها:
"لبيك أختاه، اشهدي بذلك غدًا عند رسول الله ﷺ"..!
عزة..!

من استقرّت العزة في قلبه لن يذله أحد.. ولن يهينه أحد لأنه عرف كيف يعيش هذه العزة معنًى وسلوكًا ومنهجًا ينتهجه في حياته.. وقد فقدنا كثيرًا من هذه المعاني..!

والله ﷻ استنكر في القرآن على هؤلاء الذين يطلبون العزة من عند غير الله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾..!
الذين يبحثون عن العزة عند الكفار واليهود و الغرب والله لن يحصّلوا شيئًا.. ولن يدركوا شيئًا؛ بل سيجمع الله لهم الذل من كل أطرافه.. من كل طرقه.. وسيشاهدون أمام أعينهم كيف أن الله سلبهم العزة فسلَّط الله عليهم ذلًّا لن ينزعه عنهم إلا إذا رجعوا إلى دين ربهم وعرفوا ما معنى اسم الله العزيز..!

لابدَّ أن نعمل جاهدين على أن نرجع قليلًا.. نبث العزة في قلوبنا وقلوب أبنائنا و بناتنا الذي فقدوا هويتهم.. فقدوا عزتهم.. فقدوا دينهم.. وفقدوا كل شيء..!
لم يعد يهمهم إلا الابتعاث.. السفر.. والحرية حتى انسلخوا من دينهم انسلاخًا تامًّا في لباسهم.. أفكارهم.. ولغتهم.. وتاريخهم.. وعباداتهم..!

٣- وأنت في طريق العزة لا بد أن تعرف أن الله لا يعزّ إلا أهل طاعته وأوليائه وعباده الصالحين..
كل من سار في طاعة الله أعزه الله.. ما ذلّت النفوس ولا صغُرت ولا سقطت إلا بالمعاصي..!
يقول الرازي: "وعزة كل أحد بقدر علوّ رتبته في الدين، فإنه كلما كانت فيه هذه الصفة أكمل كان أشدّ عزة و أكمل رفعة" أي: لا يرضى بالقليل من الطاعة ولا يتخفف منها؛ لأنه على قدر الطاعة يكون إعزاز الله لك..!
ذاك الصحابي الذي جاء إلى النبي ﷺ وسأله مرافقته في الجنة، قال له: "أعنِّي على نفسك بكثرة السجود"..
أكثر من الصلاة.. أكثر من السجود.. أكثر من الركوع.. أكثر من الطاعة لأنه بقدر سجودك وركوعك وخشوعك وطاعتك يكون عزك ورفعتك عند ربك وتصل إلى المرافقة وهذا مقام عالٍ جدًا..!

لذلك؛ أيها المستعز..!
إذا أقدمت على الحرام.. و ولغت فيه.. وفعلته.. ستنزل قيمتك وستبدل العزة بالمهانة وهذا من شؤم المعصية، كما قال ابن القيم رحمه الله: "ومنها زوال المهابة والحلاوة التي لبسها بالطاعة فتبدل بها مهانة"..!
كم وكم من معصية سلبت صاحبها كل شيء.. كم من معصية سلبت صاحبها عزًّا وقدرًا..
سقط من عين الله ثم سقط من عين الناس وعاش بين الناس بلا قدر ولا مكانة..!!
والصحابة ﷺ كانوا يعيشون في عزة عجيبة أعزهم الله بها لأنهم تخففوا من معاصيهم.. أكثروا من طاعاتهم..
وتأمل قول عبد الله بن مسعود ﷺ عن عمر: "والله إني لأحسب أن بين عينيه ملكًا يسدده ويرشده"..!
من كثرة ما يرى من توفيق الله لعمر.. ومن إعزاز الله لعمر.. ومن رفعة الله لعمر..!
من أين أتى بها عمر..؟!
أتى بها من كثرة الطاعة.. كثرة التقوى.. كثرة مراقبته لربه حتى تخفف من معاصيه..

٤- التواضع للمؤمنين، والدليل قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾
كلما تعززت على المؤمنين فقدت عزة الله لك.. وكلما تواضعت انخفضت للمؤمنين أعزك الله و نلت جانبًا وحظًّا كبيرًا من هذه العزة..

٥- كثرة النظر إلى كتاب الله..
من هجر القرآن وابتعد عن القرآن ولم يحسن صحبة القرآن فطريقه إلى العزة ناقصٌ لن يكتمل..!
﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ لا عزّة لنا إلا بالرجوع إلى كتاب الله..!
شيخُ الاسلام ابن تيمية الذي قضى عمره كله في الكتب والعلم والوعظ والتدريس والتأليف والتعليم.. في آخر عمره قال: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما تركت القرآن"..!

٦- إذا امتلأت نفسك بهذا الاسم وتضلَّعت منه.. وجعلته سلوكًا في حياتك رُزقت الشّجاعة..
قال ابن القيم في أثر يرويه عن الشجاع: "الشجاع منشرح الصدر متسع القلب" لأنه إنسان حرّر نفسه من جميع القيود.. من الهزيمة.. من الضعف.. من الخوف.. من الخنوع.. من التردد..

فمن أُفعم بالعزة.. وأُشبع بالعزة.. والعزة تجري في دمه.. تجري في عروقه.. تأبى عليه هذه الروح أن يكون متهالكًا مهزومًا ضعيفًا سلبيًّا خنوعًا مستسلمًا..!
هذه العزة تجعل هذا الإنسان أمة لوحده.. وقّادًا.. لا ينحني ولا ينكسر يعرف كيف يقتحم الصعاب.. كيف يصبر على هواه.. كيف يمسك عزيمته.. كيف يغلب نفسه..!
وإن غلبته نفسه ووقع سرعان ما يقف مرة أخرى.. وهذا كله من الشجاعة التي جعلها الله في قلبه والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف..!

اسـم الله " الجبار" :

اسمٌ يجد العبدُ معناه في القلب دون أن يشرح..!
ورد مرة واحدة في كتاب الله تعالى، ويدور معناه حول ثلاث معانٍ:
١- العالي: كانت العرب تقول تجبّر النبات أي علا النبات..
كانوا يسمون النخلة الطويلة: جبارة..
والمعنى في حق الله تعالى هو: العالي على خلقه.

٢- الجبر هو: الإكراه والإرغام والقهر..!
والمعنى: أن الله يُجبر خلقه ويَقهرهم على ما شاء من مراده وأمره سبحانه وبحمده..
دان له كل شيء وخضع.. له الجبروت كله.. لا يستطيع أحد أن يخرج عن مراده..
وجَبْرُ الله وقهره لعباده مقترنٌ بتمام وكمال عدله وعلمه وحكمته لأنّ الله ﷻ حرم الظلم على نفسه؛ وهذه نقطة مهمة جدًا في فهم اسم الله "الجبار" لأجل من يُشكل لديهم ويشتبه: كيف الله يخلقنا هكذا..؟ كيف يعذبنا هكذا..؟
هذا مع كمال علمه و حكمته وعدله والله ليس بظلام للعبيد..

٣- الجبار بمعنى: الإصلاح أي أن الله يصلح الأمور.. يجبر الكسير.. يجبر الضعيف.. يجبر المظلوم.. يجبر المريض.. ويجبر القلوب.. وقد جمع ابن القيم هذه المعاني الثلاثة في نونيته:

وكـــذلك الجبـــار من أوصافه	والجبر في أوصافه قـسمـان
جبر الضعيف وكل قلب قد غدا	لا كـسرة فالجبـر منـه دان
والـثاني جـبر القهر بالعز الـذي	لا ينبغي لسواه من إنـسـان
وله مســـمى ثـــالث وهو العلو	فليس يدنو منه من إنسان
مـــن قـــولـــهم جـــبارة للنخلة	الـعليا التي فاتت بكـل بنان

ومن تأمل القرآن وتدبره وعاش معه؛ وجد آيات كثيرة في كتاب الله تدل على جبر الله لقلوب عباده.. وأن الله يتحبب إلى عباده بهذا الجبر:
- جبر الله قلب نبيه محمدًا ﷺ عندما استهزأ به كفار قريش وعيّروه واستهزؤوا به وقالوا: هو أبتر..!
أي: لا أولاد ذكور له بل سيموت غدًا ولا عقب له..!
كان يتألم لهذا الكلام.. لكن الله جبره برغم الألم فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾..!
و الكوثر هو الخير الكثير، ومن هذا الخير الكثير: النهر الذي أعطاه الله للنبي صلى الله عليه وسلم ثم بيّن له أن شانئك هو الأبتر.. هؤلاء المبغضون والكارهون لك هم المبتورون.. هم الذين قُطع ذكرهم في الدنيا بل سيقطعون ويبترون من كل خير ولن يبقى لهم ذكر وسيبقى ذكرك يا محمد باق إلى يوم القيامة..!
فما ذُكر الله إلا وذكر معه محمد ﷺ: " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله "..

- انقطع الوحي عن رسول الله ﷺ شهرًا كاملًا..!
وقد وكان النبي ﷺ ينتظره متألمًا حزينًا..!
فأخذ كفار مكة يقولون: ودّعه ربّه وجفاه.. هجره ربه فقلاه وأبغضه..!
كان النبي ﷺ يتغصّصُها.. يتجرعها في قلبه ويكظمها.. حتى جبر الله قلبه وأقسم له:
﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾
ما هجرك ولا قلاك.. وما أبغضك ولاتركك.. ثم يأتي الجبر الذي ليس فوقه جبر: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾
سيعطيك ويعطيك ويعطيك ويعطيك حتى ترضى..!

والله لا يجبر قلوب أنبيائه فقط؛ بل يجبر قلوب عباده في كل وقت.. وفي كل زمان..

يذكر أهل المواعظ أن رجلًا كان جالسًا مع زوجته على العشاء.. وكان عشاؤهم دجاجًا..
طُرق الباب.. قامت الزوجة وفتحت الباب فإذا بالباب سائل فقيرٌ يطلب الصدقة..
أرادت الزوجة أن تعطيه شيئًا فنَهرَها زوجُها و منعها ثم أمرها أن تطرده وتُغلق الباب في وجهه..
مرت الأيام وتطلقت هذه المرأة من هذا الرجل وتزوجت من رجل آخر..
يُقدّر الله أن تكون مع زوجها الثاني في إحدى الليالي على طعام العشاء.. وكان هذا العشاء دجاجًا..!
ولحكمة أرادها الله.. طُرق الباب.. قامت الزوجة وفتحت الباب فإذا بالباب سائلٌ يطلب الصدقة..
أصابها الذعر..! تعجب زوجها، فقالت له: أتدري من السائل..؟ قال: لا، قالت: زوجي الأول..!
وقصّت عليه خبر طلاقها وقصة ذاك السائل الذي طرق الباب وأمرها زوجها أن لا تُعطيه شيئًا..
سكت الزوج الثاني ثم قال: أتدرين من ذلك السائل..؟ قالت: لا، قال: أنا..!
الله هو الجبار.. جبر كسره بعدما طُرد و زُجر و أُغلق الباب في وجهه..
جبره وجعل هذه المرأة زوجة له.. تحصل لها نفس القصة ونفس الأحداث على نفس الطعام..
يقولون: **"هنيئًا لمن كُسر وكان الله هو الذي يجبره كسره هنيئًا له"**..

الآثار التعبدية لاسم الله "الجبار":

١- عندما يعلم الإنسان أن ربه الجبار الذي يلم شعثه.. ويجبر عثراته.. ويمسح وجعه.. يجمع عليه شتات نفسه.. يحبه بل ويزداد في حبه لأن القلوب تبقى أسيرة لمن أحسن إليها..
والله قد أخضعنا بكثرة إحسانه.. بكثرة معروفه.. أخضعنا بكثرة ما يعطينا من نعم متوالية متتالية في الليل والنهار.. في الصباح والمساء.. في أنفسنا.. في أولادنا.. في أهلنا.. في بيوتنا.. في علمنا.. في حفظنا.. في حب الناس.. نِعمٌ تترا..!

٢- يرغب العبد إلى ربه الجبار في كل مصيبة تعترضه حتى يجبر مصيبته: "يا رب اجبرني"..!
المصائب كسْر.. فأصلح يا رب كسري فيأتي الجبر بطريقة عجيبة و " **ما سلب الله عبدًا نعمة فصبر عليها إلا عوضه الله خيرًا منها**" وهذا جبر..!
فقدت أبًا .. أمًّا.. ابنًا.. زوجًا.. فقد ما فقدت من الدنيا..
الله هو الذي أخذ.. والله هو الذي أعطى.. والله هو الذي يجبر.. والله هو الذي يعوض..
وفي الله عوضٌ عن كل هؤلاء.. في الله عوضٌ عن كل شيء.. في الله عوض عن كل فائت..!
هذه معانٍ إيمانية تحلّق بك عاليًا في درجات الإيمان.. ومن استطاع أن يحلق هذا التحليق الإيماني سيتذوق طعم الجبر..
والجبر ليس في المصائب فقط بل حتى في الذنوب و المعاصي..!
لأن المعصية كسر.. كسرت شيئًا من الإيمان ولن يجبر هذا الكسر إلا الجبار ﷻ..
والإنسان تغلبه نفسه أحيانًا فيقع ويعصي.. لكن من الناس من يتداركهم الله برحمته فيجبرهم.. وينتشلهم من الوضع الذي هم فيه.. يخرجهم سريعًا من الزلل الذي وقعوا فيه.. ينير طريقهم ويردهم إلى الطريق مرة أخرى..
يوقظ قلوبهم.. يرسل لهم من يُسمعهم كلمة.. موعظة.. آية.. رسالة تحرك القلب..
تأتيه على نفس جرحه.. يحملهم الله إليه حملًا.. ويسوقهم إليه سوقًا.. يحرك قلوبهم للتوبة.. يقذف في قلوبهم حبها فيتوبون..!
والتوبة بذاتها رزق..!

٣- من عرف أن الله يجبر قلوب عباده فيجبر الناس من حوله.. يترفق بهم.. يواسيهم حتى تدخله هذه الصفة على ربه فيجبره الله؛ لأن الجزاء من جنس العمل، والله يحب من عباده من يتصف بصفاته..
ولا يستطيع للعبد أن يتخلق بهذه الصفة ما لم يمتلك قلبًا واسعًا كاتساع البحر وإن شئت فقل كاتساع السماء..!
قلبٌ يحتوي الجميع.. يعطي الجميع.. يقترب من الجميع.. يحب الجميع.. ويأخذ بيد الجميع..
قلبٌ يتقن فنّ المواساة.. قلبٌ يتقن مهارة إعادة البناء وترميم المشاعر المُحطمة.. المهشّمة.. مشاعر من فقدوا أنفسهم..!
الناس تريد منا أن نبث فيهم الأمل.. نعطيهم الثقة في ذواتهم.. والنبي ﷺ كان عظيم المواساة لأصحابه.. يواسي بالقليل والكثير.. يواسي بالكلمة.. يواسي بالفعل.. يواسي بالهدية.. يواسي بالدعاء.. بالزيارة..

- يدخل رسول الله ﷺعلى صبي صغير مات له عصفورٌ كان يلاعبه..!
يُمازحه حتى يجبر قلبه الصغير فيقول : يا أبا عمير ما فعل النغير..؟

- يجبر و يواسي جُليبيب ﷺ.. لا جاه ولا مال ولا مكانة لا أحد يريده ولا أحد يقبله ولا أحد يزوجه..!
خطب له بنفسه ﷺ امرأة من الأنصار فتوافق إكرامًا لخطبة النبي ﷺ..

- شارب خمر جُلد.. ثم شرب الخمر و جُلد.. ثم شرب الخمر وجُلد ثلاثًا..!
سبه بعض الصحابة.. واشمأزوا منه.. فقال النبي ﷺ: "لا تعينوا الشيطان على أخيكم إنه يحب الله ورسوله"..!
سمعها الرجل فلم يعد إلى شرب الخمر مطلقًا..

- زاهر رجل من البادية.. ذميم.. قيل أنه كان عبدًا أسودًا..
كان يأتي ببضاعة من البادية ليبيعها في سوق المدينة.. يدخل رسول الله سوق المدينة.. يرى زاهرًا.. يحتضنه من الخلف ثم يقول: "من يشتري هذا العبد.. من يشتري هذا العبد"..!
يلتفت إليه زاهر ويقول: تجدني كاسدًا يا رسول الله..؟
فيجبره ويقول: "أنت لست عند الله بكاسد بل أنت عند الله غال"..

- يدخل على صفية رضي الله عنها وهي تبكي.. يسألها: ما يبكيك يا صفية..؟
قالت: يقولون عني يهودية، قال: قولي لهم أنك ابنة نبيّ.. وعمّك نبيّ.. وأنت تحت نبيّ..

كان نسيما يمشي بين أصحابه ﷺ، يجبر قلوب من حوله؛ بل إن من عظمة قلب النبي ﷺ كان أصحابه يعتقد الواحد منهم أنه هو الأقرب والأحبّ إلى قلب النبي ﷺ، وهذا يدل على سعة قلبه ﷺ..

ومما يعينك على أن تمتلك مثل هذا القلب:

* أن تعرف أن هذا الجبر.. وهذا الإحسان.. وهذه المواساة باب مفتوح إلى الجنة.. وطريق مفتوح إلى رحمة الله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، و"**من أحسن إلى عباد الله كان الله إليه بكل خير أسرع**" فالمسألة عبادة تتعبد الله بها،و الله يصطفي من عباده من يشاء، ويمنّ عليه بمثل هذا القلب الواسع..

* اجعل قلبك على سجيته على عفويته لا تتكلف في حبك ومشاعرك.. لا تتكلف في صدقك وعطائك..
لأن التمثيل و الزيف والتكلف يقلل الصدق.. والقلب إذا قل صدقه قلت بركته.. وقلّ جبر الله له..

*اعترف بمعروف الناس.. اعترف بمجهود من أمامك.. لا تجحد ولا تنكر..
هذا من الوفاء والله يحب من عباده الأوفياء.. و "**من وفّى وفّى الله له**"..!

* إسْأل الله أن يمن عليك بقلب كقلوب أوليائه المقربين.. وأن يفتح لك كما فتح لهم..
ومن أهم ما فتح الله به على قلوب أوليائه جبر قلوب الناس والإحسان إليهم..

اسم الله " المتكبر":

سمى الله نفسه [المتكبر] والتاء في [لفظة المتكبر] تفيد التفرد والتخصص..

والتكبر لا يليق إلا بالله لا يليق إلا أن يكون من صاحب العظمة والكبرياء وهو الله ﷻ..

فلا يبلغ عظمته أحد ولا يبلغ كبرياءه أحد.. فهو الخالق وما سواه مخلوق وهو السيد وما سواه مملوك.

والسيد من صفاته الرفعة والتكبر، والمملوك صفته التذلل والخضوع .

فلا يجب أن يتلبس بلباس الكبرياء أحد إلا الله، ففي الحديث القدسي: "الكبرياءُ ردائي والعظمةُ إزاري فمَن نازَعني في شيءٍ منه أدخَلْتُه في النَّارِ"[1]، كل من نازع الله في كبرياءه ونازعه في ملكه قصمه الله:

* فرعون ادعى الربوبية فقال: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، وادعى الألوهية: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾، و ادعى الملك: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾

نازع الله في كبريائه وعظمته فقصمه الله وأغرقه في الأنهار التي كان يدعي أنها في قبضته وفي ملكه..!

* قارون نسب النعمة لنفسه وتعاظمت به نفسه نسب النعمة لنفسه ورأى أنه أهلٌ لهذه النعمة ومستحقٌّ لها وقال: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾وما يزال الكبر ينمو ويكبر في نفسه حتى قصمه الله وسلّط الله عليه عقوبة خاصة .. !

خسف به وبداره: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ زلزال خاص فقط به وبداره دمّره ولم يعبأ الله به..!

* النمرود حاجّ إبراهيم عليه السلام في ربه وادعى الربوبية: ﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾ فجاء في بعض الروايات أن الله سلط الله عليه بعوضة دخلت رأسه فكان لا يهدأ إلا إذا ضُرب رأسه بمطارق من حديد..!

[1]- رواه مسلم

* ذكر الشيخ الطنطاوي رحمه الله قصة حدثت في دمشق قبل خمس وسبعين سنة ولم يكن فيها آنذاك إلا طبيب نسائي واحد..!

كان جبارًا متكبرًا لا يخرج لعلاج المريضة إلا بشريطين:

الأول: أن يتم تسليمه المبلغ كاملًا قبل الكشف على المريضة..!

الثاني: أن لا يخرج إلا بعربة (وكانت دمشق تعاني من قلة العربات)

جاءته حالة ولادة متعسرة جدًا ومع كل الرجاءات والتوسلات لم يخرج إلا بشرطيه

فاضطر أهل المريضة إلى بيع أثاث منزلهم ليوفروا له العربة التي تجرها الخيول ...!!

جمع هذا الطبيب الأموال والثروة وبنى بها قصرًا في دمشق..

تمر الأيام والسنين ويصاب الطبيب بعدها بشلل كامل أفقده الحركة تمامًا..

أول من رفضت خدمته ولم تتحمله هي زوجته وأمرت الخدم أن ينزلوه إلى القبو..

وكانت ترسل إليه بالطعام والشراب ورفضت حتى النزول إليه رغم صراخه ومنادته لها..

وظل ثمانية سنوات على هذا الحال..!

بعد ذلك بدأت تصدر منه رائحة كريهة تأذت منه الزوجة.. فاستأجرت له غرفة خارج القصر وأمرت أن يخرجوه إليها..!

أخرجته من قصره ومن أمواله.. سلبه الله كل شيء..

هذا الطبيب لم يَرحم فلم يُرحم فسلط الله عليه عقوبة شديدة.. سلَّط عليه من يُذلّه ويُهينه وهو عاجز..!

وهذه سنة الله في المتجبرين والمتكبرين وسنن الله ماضية على خلقه ولابد للظالم أن يأخذ جزاءه: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾

الآثار التعبدية لاسم الله " المتكبر":

١- إذا عرف العبد أن ربه هو المتكبر ولا يليق التكبر إلا به يبقى على حذر أن يتلبسه شيء من الكبر، فالكبر من الموبقات المهلكات، قال ﷺ: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر"[١]، وقال رسول الله ﷺ لسراقة: "يا سُراقةُ ! ألا أُخبِرُك بأهلِ الجنَّةِ وأهلِ النارِ..؟ قلتُ : بلى يا رسولَ اللهِ ! قال: أما أهلُ النَّارِ ؛ فكلُّ جَعظريٍّ جوَّاظٍ مستكبِرٍ ، وأما أهلُ الجنَّةِ ؛ فالضعفاءُ المغلوبون"[٢].

٢- الكبر يَطبع على قلب العبد، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾

والطبع هو نوع من أنواع أقفال القلوب بل هو أشدها والله ﷻ إذا طبع على قلب العبد سُدّت منافذه وتجرأ على حدود الله ومحارمه، وقد ورد في الأثر أن القلوب أربعة[٣]:

- قلبٌ أجرد
- قلبٌ اغلف
- قلبٌ منكوس
- وقلبٌ مُصْفَح

١- **القلب الأجرد:**

هو قلب المؤمن، قلبٌ حيّ فيه سراج ينير لصاحبه، يأبى على صاحبه أن يعيش في هذه الدنيا وهو في ذيل القافلة وآخر الركب..

قلبٌ يشعُّ نورًا ومصدر هذا النور هو القرآن: ﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾

وكلما زاد أخذُ العبد للقرآن وجلوسه مع القرآن وحسن صحبته للقرآن ازداد نوره وأضحى كالشمس بين الناس،

ومن الناس من نوره كالشمس، ومنهم من نوره كالقمر، ومنهم من نوره كالنجم، ومنهم من نوره كالشمعة، ومنهم من لا نور له والعياذ بالله..!

إنما هذه درجات ومنازل ويفضل الله عباده بعضهم على بعض: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾

---

[١]- صحيح الترغيب والترهيب..
[٢]- المنذري في الترغيب والترهيب، والطبراني في الكبير.
[٣]- مسند الإمام أحمد.

٢- **القلب الأغلف :**

قلب مغلف بغلاف الكفر وهو قلب الكافر.. قلبٌ لا يدخله نور الوحي والهداية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾

٣- **القلب المنكوس:**

هو قلبُ المنافق عرف القرآن و طريق الهداية والصلاح ثم أنكر فانتكس وانقلب..!

يعيش في تناقض كبير بين ظاهره وباطنه: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾

٤- **القلب المُصْفَح:**

قلب اجتمع فيه إيمان وضلال.. نور وظلمة.. وهداية ومعاصي.. فإذا غلب الإيمان التحق بأهل الإيمان وإذا غلبته المعصية التحق بأهل المعاصي، وكلما أذنب العبد ذنبا نكتت في قلبه نكتة سوداء.. وتكرار الذنب والإصرار عليه بدون توبة واستغفار يزيد السواد حتى يصبح القلب أسود مربادًا كالكوز مُجخّيًا لا ينكر منكرًا ولا يقرّ معروفًا.

٣- الكبر سببٌ من أسباب طبع الله على القلب وصرفه عن آياته قال الله تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ ومن صرف الله قلبه لا يمكن لاحد أن يرده عليه..!

٤- الكبر سبب لبغض الله ومن أبغضه الله بغَّضه إلى الخلق.. فلا يحبه الناس ولا يأنسون به، ولا يطرح له القبول في الأرض..!

٥- إذا عرفت أن الله هو المتكبر الذي له الكبرياء والعظمة وجب عليك التواضع ففي الحديث: "تَوَاضَعُوا حتى لا يَفْخَرَ أحدٌ على أَحَدٍ ، و لا يَبْغِي أحدٌ على أَحَدٍ"[1]..

[1]- صححه الألباني.

* فهناك من يتكبر بحسبه ونسبه وقد قال رسول الله ﷺ "دعوها فإنها منتنة"[1]..

وقد حقَّر النبي ﷺ من شأن المُتكبرين فشبههم بالجُعل (الخنفساء) التي تدحرج النجاسة بأنفها..

وقال رسول الله ﷺ: "يُحْشَرُ المُتَكَبِّرُونَ يومَ القيامةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ"[2]

* وهناك من يتكبر بذكائه وفهمه وعقله وعلمه ومواهبه ويتعصب لرأيه ومؤشرات أنه قد جعل لنفسه قدرًا كبيرًا يتعالى به على الناس **"ومن كان في نفسه شيء فهو عند الله لاشيء"**

وإذا سلك العبد هذا المسلك فقد فتح على قلبه باب الكبائر من عجب وأثرة وأنانية..!

* وقد حثّ النبي ﷺ على مُجالسة الضعفاء والعطف عليهم وجبر خواطرهم فقال: " هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم"[3].

فالجلوس معهم والتواضع لهم سببٌ لأمرين: سببٌ للنصر، وسببٌ للرزق..

فيا من تبحث عن الرزق بكل أنواعه سواء الرزق الحسي أو المعنوي فعليك بالضعفة والمساكين.. كلما تواضعت لهم أعزّك الله ورزقك الله، وكان من دعاء النبي ﷺ: " اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحبّ المساكين".

[1]- رواه البخاري ومسلم.
[2]- حديث حسن صحيح.
[3]- صحيح البخاري، رقم ٢٨٩٦

اسم الله " الخالق البارئ المُصوّر":

* الخَلْقُ: هو التقدير..

والعرب تقول: "خلق الأديم" أي: قدَّرهُ قبل أن يقطع الجلد..

فقبل أن يقطع الجلد ويقصه يقدّره هل يريد هذا الجلد مثلًا قربة أو خفًّا أو ماذا...

* البارئ: من البَرءْ وهو الفري، أي: ينفّذ ما قدّره.. فيوجده ويُنشئه على غير مثال سابق له..

فالبارئُ هو: المُوجد المُنشئ.

* المُصوِّر: هو الذي يُصوّر الأشياء والمعنى: يكيّفه على ما يريد [هذا طويل وهذا قصير، هذا أبيض وهذا أسمر، هذا جميل وهذا دميم، وهكذا...]

<u>فيصبح الجمع بين هذه الأسماء الثلاثة:</u>

أن الله إذا أراد خلق شيء قدّره بعلمه وحكمته ثم برأه أي أوجده وفق ما قدّره ثم صوّره على الصورة التي أرادها..

ولله المثل الأعلى: مثلًا مهندس يصمم ومهندس يُنفذ..

وخلق الله مُحكم لا يستطيع مخلوق أن يخلق مثله فضلًا عن أن يخلق أفضل منه: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾

اسم الله "الحكيم":

* الحكيم في لغة العرب: هو الذي امتنع أن يدخل على رأيه خطأ أو زلل..

والحكمة هي: وضع الأمور في مواضعها وإيقاعها في مواقعها على أحسن الوجوه..

* "وقد تقرر أن الله سبحانه كامل الصفات، له الأسماء الحسنى ولا يكون عن كامل الصفات في ذاته وصفاته إلا الفعل الحكيم؛ ولهذا كان الحكيم من أسمائه الحسنى، والحكمة من صفاته العُلى، والشريعة الصادرة عن أمره مبناها على الحكمة، والرسول المبعوث بها مبعوثًا بالكتاب والحكمة"[1].

* فالحكيم سبحانه لا يدخل في تدبيره خلل ولا زلل، لا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يُشرّع شيئًا سُدى، ولا يترك عباده هملًا، له الحكمة في كل أقواله وأفعاله وأحكامه:

فإذا أمرض أمرض لحكمة..

وإذا أغنى أو أفقر لحكمة..

وإذا هدى أو ضلّ لحكمة..

وإذا قدّم أو أخّر أو أعطى أو منع لحكمة، فلله الحكمة البالغة.

* هذا الاسم ينشر الطمأنينة واليقين والثبات في قلب العبد، فإذا علم العبد أن ربه الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها ويعلم خواصها ومنافعها ويرتب أسبابها ونتائجها اطمأنّ ورضي وسلّم دون اعتراض ولا تسخط وأصبح لسان حاله يقول: [رضينا بالله ربًّا]..

* وإذا علم العبد أن ربه الحكيم ﷻ عرف أن من حكمته أنه لا يُقدّر على العباد إلا ما فيه منفعتهم ومصلحتهم، فالله لم يخلق الخلق ليعذبهم أو يُشقيهم بل إن هذه الأقدار التي نزلت ما هي إلا عين الرحمة بهم فرحمته ولطفه لا ينفكان عنه سبحانه وبحمده.

[1]- المرتبع الأسنى ص ٤١٤.

* من علم أن ربه الحكيم وامتلأ قلبه بالرضا عن كل ما أصابه فإن الله سيرضيه، ويهوّن عليه البلاء، ويجعل له فرجًا ومُتنفّسًا من داخل قلبه قبل أن يأتيه الفرج من الأسباب: ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا﴾

* من علم أن ربه الحكيم وأن صفته الحكمة، سأل الله أن يعلمه الحكمة فالله يقول: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾، قال ابن عباس ﷺ: " ضمّنى النبي ﷺ إلى صدره وقال اللهم علّمه الحكمة"[1].

* من علم أن ربه الحكيم، دعا إلى الله بالحكمة: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ وأصبح حكيمًا في دعوته وتعامله، وقوله وفعله، وفي كل أموره.

[1]- رواه البخاري.